كارثة غرق السفينة البيضاء

في ٢٥ نوفمبر ١١٢٠م ونتائجها

د/ وفاء إبراهيم العبد حميدو

مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب

جامعة العريش

الملخص:

كانت كارثة غرق السفينة النورماندية المسماة "السفينة البيضاء" من أخطر الكوارث البحرية التي تعرضت لها إنجلترا ونورماندي في القرن الثاني عشر الميلادي؛ إذ غرق فيها الوريث الشرعي للعرش الإنجليزي، مع جميع ركابها البالغ عددهم أكثر من ثلاثمائة وخمسين شخصًا، باستثناء شخص واحد فقط، ناهيك عن تداعياتها السياسية الوخيمة على وراثة العرش الإنجليزي، وعلى وراثة المقاطعات الإنجليزية والنورمانية التي فقدت ورثتها الشرعيين، وعلى مستقبل العلاقات السياسية بين إنجلترا وفرنسا وأنجو.

الكلمات الدالة: السفينة البيضاء- غرق السفن - ويليام الأثلينج- هنري الأول - القرن الثاني عشر الميلادي

Summary

The disaster of the sinking of the Norman ship called "The White Ship" was one of the most serious marine disasters that occurred to England and Normandy in the twelfth century AD; Where the rightful heir to the English throne drowned, with all its passengers, numbering more than three hundred and fifty persons, with the exception of only one person, with its political consequences on the succession to the English throne, on the succession of English counties, and on the political relations between England, France and Anjou.

Keywords: The White Ship - Shipwreck - William the Atheling - Henry I - The Twelfth century AD

المقدمة

لم تكن حوادث غرق السفن في العصور الوسطى غير شائعة، بل تعرضت الكثير من السفن إلى الغرق من جراء العواصف أو في أثناء المعارك البحرية أو بفعل أعمال القراصنة، ولكن تعرض سفينة تحمل الوريث الوحيد الشرعي للعرش وأفراد من العائلة المالكة للغرق، في ظل مناخ ملائم وطقس هادئ، وبأيدي صديقة وليست عدوة، فكان هذا أمرًا جديدًا، وحادثًا غير متوقع للأوروبيين بوجه عام وللإنجليز والنورمان بوجه خاص، وهذا ما حدث مع السفينة النورماندية المعروفة بالسفينة البيضاء، التي كانت تحمل على متنها أكثر من ثلاثمائة وخمسين شخصًا، من ضمنهم ويليام الأثلينج ابن الملك الإنجليزي هنري الأول، وأفراد من العائلة المالكة، وعدد كبير من النبلاء والفرسان، وبعض رجال الدين، إلى جانب طاقم السفينة والخدم، وفي ليلة مظلمة مع رياح مواتية، أبحرت هذه السفينة من ميناء بارفلور، وبعد دقائق معدودة من مغادرتها الميناء تحطمت بكل ما تحمله من بحارة على صخرة بارفلور، وفي غضون ساعات قليلة غرق كل ركابها دفعة واحدة، باستثناء شخص واحد فقط، وبين عشية وضحاها تبددت كل جهود الملك هنري الأول لضمان وراثة العرش لوريثه الشرعي الوحيد ويليام الأثلينج، وتبخرت كل أماله وأحلامه بوراثة سلسة لسلالته، وتجددت مرة أخرى الصراعات السياسية بين إنجلترا وأعدائها، الأمر الذي دفع الملك هنري الأول إلى البدء من جديد في البحث عن وريث للعرش الإنجليزي.

ولما كانت كارثة غرق السفينة البيضاء من أخطر الكوارث البحرية التي تعرضت لها إنجلترا في القرن الثاني عشر الميلادي، والتي كان لها تداعيات سياسية وخيمة على مستقبل إنجلترا ونورماندي، ولما خلت المكتبة العربية – على حد علمي– من دراسة مستقلة عن كارثة غرق السفينة البيضاء، فكان من الضروري تناول هذا الموضوع بالدارسة من شتى جوانبه، وكشف النقاب عن هذه الكارثة المفجعة والمؤلمة، التي تعرض لها ليس فقط ركاب السفينة، ولكن الكثير من الشعب الإنجليزي والنورماندي، الذي فقد أقاربه أو أصدقاءه أو وريثه الشرعي، وكذلك لبيان الأسباب الحقيقية وراء حدوث هذه الكارثة، وحالة الملك هنري الأول قبل الحادثة وبعدها، والنتائج السياسية والأدبية التي ترتبت على هذه الكارثة البحرية.

والجدير بالذكر أن هناك بعض الدراسات الأجنبية الحديثة التي تناولت هذه الموضوع[١]، والتي كانت خير معين لهذا البحث، ومن هذه الدراسات الأجنبية البحث الذي قام به بريت جونز Jones Brett، بعنوان "كارثة السفينة البيضاء"، وإن كان قد تناوله بشيء من الاختصار وليس بالتفصيل، وكذلك بعض الدراسات التي تناولت عصر الملك هنري الأول، وتحدثت من ضمن حديثها عن هذه الكارثة البحرية.

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي، في وصف هذه الكارثة البحرية، بدءًا من وصف السفينة البيضاء نفسها، من حيث شكلها الخارجي وحجمها وسرعتها، مرورًا بحالة طاقمها وركابها، وكيفية غرقها، وصولًا إلى حالة الحزن والغم والأسى التي انتابت الملك هنري الأول والكثيرين من الإنجليز والنورمان على فقدان أقاربهم وأصدقائهم، كما لجأت إلى تحليل الروايات التاريخية المختلفة والمتضاربة التي ذكرها المؤرخون المعاصرون ونقدها، وكذلك الآراء التي توصل إليها بعض الباحثين المحدثين.

وسوف أتناول هذا البحث في عناصر محددة، تتمثل في الآتي:

١- سياسة الملك هنري الأول قبل وقوع الكارثة البحرية.

٢- انضمام السفينة البيضاء للأسطول الإنجليزي ووصفها.

٣- ركاب السفينة البيضاء.

٤- إبحار السفينة البيضاء وغرقها.

٥- نتائج غرق السفينة البيضاء.

١- سياسة الملك هنري الأول قبل وقوع الكارثة البحرية:

كان الملك هنري الأول مثله مثل أي ملك أو إمبراطور، سواء في الشرق أو الغرب، يرغب في إنجاب وريث ذكر ليرث العرش من بعده، وقد تحقق له ذلك، عندما أنجبت زوجته الملكة ماتيلدا الاسكتلنديةMatilda of Scotland[٢] ابنًا في سنة ١١٠٣م، سماه ويليام على اسم والده الملك ويليام الفاتح William I (١٠٦٦-١٠٨٧م)، ولم تنجب زوجته أطفال ذكور آخرين، ولكنها أنجبت قبل ويليام ابنة هي ماتيلدا في ١١٠٢م[٣]، وفي الوقت نفسه كان لديه عدة أبناء وبنات غير

شرعيين، أشبعوا لديه غريزة كثرة الذرية، وكان بعضهم سندًا له في كثير من الأوقات[٤]؛ لذا اكتفى الملك هنري بويليام، هذا الابن الذكر الشرعي الوحيد، ليرثه على عرش إنجلترا ونورماندي، بدلًا من عدة أطفال ذكور شرعيين، قد يتنافسون فيما بينهم على العرش، مثلما حدث بينه وبين أشقائه بعد وفاة والدهم ويليام الفاتح[٥]، إلا أن هنري الأول لم يكن يعتقد أن الرياح قد تأتي بما لا تشتهيه السفن، وأن آماله وخططه بوراثة سلسة للعرش سوف تتحطم على صخرة ميناء بارفلور.

وعلى أية حال، فقد سعى الملك هنري الأول بشتى الطرق، سواء كانت العسكرية أو الدبلوماسية إلى ضمان العرش في إنجلترا ودوقية نورماندي لابنه الوحيد الشرعي ويليام الذي لقب بالأثلينجAethling[٦]، وفي سنة ١١١٥م دفع هنري الأول البارونات النورمانديين إلى القسم بالولاء لابنه، والاعتراف بأنه الوريث الوحيد لدوقية نورماندي[٧]، وفي العام نفسه استطاع أن يجعل اللوردات الإنجليز يقسمون على أحقية ويليام في العرش الإنجليزي[٨]، وبعدها أصبح يُطلق على ويليام لقب " الملك والدوق المعين"؛ إذ ذُكر هذا اللقب في إحدى الوثائق الرسمية فيما بعد منتصف سنة ١١١٩م[٩]، وكذلك أطلق المؤرخ والسياسي هيو ذا شانتر Hugh the Chanter، الذي كان في نورماندي في عام ١١٢٠م- هذا اللقب على ويليام أيضًا في أثناء حديثه عن كارثة السفينة البيضاء[١٠]، كذلك أطلق عليه صاحب حولية وارين Warenne لقب "الملك المستقبلي للإنجليز والنورمان"[١١].

ولم يكتفِ الملك هنري الأول بذلك فحسب، بل شرع في التوجه إلى نورماندي سنة١١١٧م؛ لشن الحرب على ملك فرنسا لويس السادسLouis VI (١١٠٨-١١٣٧م)، الذي دعم ادعاءات ويليام كليتوWilliam Clito ابن روبرت أخو هنري الأول في أحقيته بدوقية نورماندي[١٢]، ولما كان ملك فرنسا يحصل على دعم ومساندة من فولك الخامس كونت أنجو Fulk of Anjou(١١٠٩-١١٢٩م) وبلدوين السابع كونت فلاندرزBaldwin of Flanders (١١١١-١١١٩م) ضد هنري الأول[١٣]، فسعى حينها بشكل دبلوماسي إلى فك هذا التعاون بينهم، عن طريق زواج ابنه ويليام الأثلينج من ماتيلدا ابنة فولك كونت أنجو[١٤]، الذي كان قد سبق أن خطبها في عام ١١١٣م، فشرع إلى إتمام هذا الزواج، الذي أتمه في يونيو عام ١١١٩م[١٥]، والذي ضمن

هنري الأول من وراءه مكاسب عديدة، منها: ضم فولك كونت أنجو إلى صفه، والتوقف عن تأييد مزاعم ويليام كليتو وادعاءاته، وكذلك الحصول على مقاطعة ماين Maine كمهر، والتي تقع جنوب نورماندي، وبالتالي تأمين نورماندي من الناحية الجنوبية(١٦)، وقد عبر المؤرخ الفرنسي سوجر Suger عن هذا الزواج بقوله: إن الكونت فولك" وضع الجشع قبل الولاء، ودفعه الغدر لإعطاء ابنته في عش الزوجية إلى ويليام، نجل الملك الإنجليزي، دون استشارة الملك لويس. لقد خان كلمته الكاذبة بأن يكون عدوًا للملك هنري، وانضم إلى الملك الإنجليزي بعلاقات صداقة من هذا النوع"(١٧).

أما عن فلاندرز، فبعد وفاة الكونت بلدوين السابع ورثه تشارلز ابن عمه Charles (١١١٩-١١٢٧م)، الذي واجه بعض الاضطرابات الداخلية، فسعى حينها هنري الأول إلى ضمان حياده بالرشاوي، ونجح في ذلك؛ وبذا استطاع هنري الأول إبعاد أنجو وفلاندرز عن التحالف مع ملك فرنسا الذي أصبح وحيدًا(١٨).

وبعدها أصبحت مهمة هنري الأول سهلة في محاربة لويس السادس ملك فرنسا في معركة بريمول Bremule في ٢٠ أغسطس ١١١٩م، والتي شارك في صفوف القتال معه ابنه الشرعي ويليام، واستطاعوا في النهاية الانتصار على مللك فرنسا وويليام كليتو، اللذين فرا هاربين من أرض المعركة(١٩)، واضطر لويس السادس في منتصف عام ١١٢٠م إلى الاعتراف بويليام الأثلينج دوقًا على نورماندي، واتفقوا على أن يقسم ويليام الأثلينج بالاحترام لفيليب ابن لويس السادس، بدلًا من أن يقسم هنري الأول للويس السادس(٢٠)، فهنري الأول حتى وإن كان دوقًا لنورماندي، إلا أنه في الوقت ذاته ملك لإنجلترا، فرفض أن يقسم بالاحترام لملك مثله.

وبذلك استطاع الملك هنري الأول الانتصار على ملك فرنسا، واستعادة أحقيته بدوقية نورماندي، وحينها قرر العودة من نورماندي إلى إنجلترا بعد سنوات مليئة بالعمل الشاق عسكريًّا ودبلوماسيًّا، تكللت بالنصر والفرح، ولكنه لم يكن يدري ما يخبئه له القدر، وأن هذا النصر سيتحول إلى كرب، والفرح سيتحول إلى حزن، على حد قول صاحب حولية وارين(٢١).

٢- انضمام السفينة البيضاء للأسطول الإنجليزي ووصفها:

بعدما قرر الملك هنري الأول العودة إلى إنجلترا، تجمع هو وفرسانه ورجال الكنيسة وحاشيته وأبناؤه في ميناء بارفلورBarfleur في نورماندي، الذي كان يمثل نقطة الانطلاق من نورماندي للوصول إلى ميناء ساوثهامبتون Southampton المقابل له على الساحل الإنجليزي؛ إذ كانت مدينة بارفلور تقع في الطرف الشمالي الشرقي من شبه جزيرة كوتينتين Cotentin، التي تقع في الجزء الشمالي الغربي من دوقية نورماندي، وتطل على ساحل إنجلترا الجنوبي، ويفصل بينهما القناة الإنجليزية (بحر المانش)[٢٢]، وكان من البديهي أن يختار هنري الأول ميناء بارفلور ليكون نقطة انطلاقه إلى إنجلترا؛ لأنه الميناء الملكي الرئيسي الرابط بين إنجلترا ونورماندي، فقد نزل في هذا الميناء من قبل أسطول الملك إثيلريدAethelred (٩٧٨-١٠١٣م)، عندما أرسله لشن الحرب على دوقية نورماندي، في عام ٩٩٦م[٢٣]، كذلك اختار إدوارد المعترف Edward the Confessor (١٠٤٢-١٠٦٦م) ميناء بارفلور لينطلق منه إلى إنجلترا ليطالب بحقه في العرش الإنجليزي في عام ١٠٣٧م[٢٤]، كذلك هبط إليه الملك ويليام الثاني روفوسWilliam II Rufus (١٠٨٧-١١٠٠م) في أثناء توجهه للاستيلاء على لومانLe Mans في مقاطعة ماين[٢٥].

أما عن المسافة ما بين ميناء بارفلور وميناء ساوثهامبتون، فتقارب نحو إحدى وتسعين ميلًا، وكان يتم قطعها في ما بين اثنتي عشرة إلى أربع عشرة ساعة[٢٦]، وذلك بناءً على ما ذكره المؤرخ أوردريك فيتاليسOrdericus Vitalis ؛ حيث صرح بأن السفن إذا خرجت من ميناء بارفلور مع بداية غروب الشمس، فإنها ستصل إلى ميناء ساوثهامبتون في الصباح في حالة هبوب رياح جنوبية مواتية[٢٧].

وبالنسبة لانضمام السفينة البيضاء لأسطول هنري الأول المتجه إلى إنجلترا، فلم تكن منذ البداية ضمن أسطول الملك هنري الأول الراسي في بارفلور، ولكن في المرحلة الأخيرة قبل انطلاقه، قدم إليه شخص يدعى توماس بن ستيفن Thomas ، وذكر له أن والده كان يخدم الملك ويليام الفاتح طوال حياته، وهو الذي نقل والده إلى إنجلترا على متن سفينته الخاصة في أثناء الغزو النورماني لإنجلترا عام ١٠٦٦م، وكيف أن الملك ويليام الفاتح كافأه بمكافئات سخية، جعلت له

مكانة بين أصدقائه، وهو يطمع من الملك هنري أن يفعل معه مثلما فعل والده ويليام مع والد توماس، وأن يصعد على سفينته المسماة "السفينة البيضاء" للعودة بها إلى إنجلترا، وقد وافق الملك على طلبه، بأن يجعله يخدم لديه، ولكن لن يصعد هو بنفسه على متن سفينته؛ لأنه بالفعل اختار لنفسه سفينة تناسبه، ولكن سيعهد إلى ابنيه ويليام وريتشارد– ابنه غير الشرعي– اللذين كان يحبهما كما يحب حياته، على حد قوله، والكثير من نبلاء المملكة بالصعود على متن السفينة البيضاء للعودة إلى إنجلترا(٢٨).

ومن المتوقع أن الملك هنري الأول كان يثق تمامًا في إمكانيات هذه السفينة البيضاء وسرعتها، وذلك من خلال شكلها الخارجي الذي كان يوحي بحداثتها وقوتها واختلافها عن بقية سفن الأسطول الإنجليزي، وكذلك ربما كان يثق في خبرة توماس نفسه من خلال محادثته معه، التي ربما أوحت له بمدى خبرته البحرية وحنكته، ويُستشف ذلك مما ذكره المؤرخ فيتاليس، عندما ذكر أن توماس في أثناء وجوده على متن السفينة عند إقلاعها تفاخر بنفسه، " وكان واثقًا من مهارته في الإبحار ومهارة طاقمه، وأنه سيترك وراءه قريبًا جميع السفن التي بدأت قبلهم"(٢٩)، وربما هذا ما أظهره أيضًا للملك هنري الأول في أثناء محاولة إقناعه؛ وذلك لأنه إذا لم يكن يثق هنري الأول في قدرة السفينة وقبطانها، فما كان ليجازف بابنيه ويليام وريتشارد، اللذين كانت لهما محبة خاصة لديه، لا سيما ابنه ووريثه الشرعي ويليام، الذي فعل كل ما فعله من جهد وتعب طوال سنوات متواصلة من أجل أن يجعله خلفًا له على عرشه، كذلك لم يكن ليجازف بكل الكنوز التي جمعها في أثناء حربه ليضعها على متن هذه السفينة.

ولعل الملك هنري الأول جعل وريثه الشرعي هو من يصعد على متن تلك السفينة الجديدة على الأسطول الإنجليزي، بلونها الأبيض المختلف واللافت للنظر، ومع ابن ستيفن قبطان الملك ويليام الفاتح، الذي كانت سفينة والده أسبق سفن أسطول ويليام الفاتح في الوصول إلى الساحل الإنجليزي(٣٠)؛ ليُضيف بذلك نوعًا من الأبهة والرونق على عودة ابنه الملك المستقبلي المنتصر إلى إنجلترا بسفينته البيضاء التي ستسبق سفن الأسطول الإنجليزي، ويأتي خلفها باقي سفن الأسطول

في مشهد درامي، وكذلك لتكون بداية جديدة وفألًا حسنًا لويليام الأثلينج، لعله يكون له نفس حظ جده ويليام الفاتح.

أما عن وصف هذه السفينة البيضاء، فقد وُصفت على لسان قبطانها توماس بأنها "مجهزة بشكل ممتاز ومتكيفة لاستقبال حاشية ملكية"(٣١)، كما قال عنها بحارتها بأنها: " كانت من أفضل الإنشاءات، وزودت حديثًا بعتاد جديد"(٣٢)، ويُستشف من كلام البحارة أن السفينة لم تكن حديثة البناء، أو أن هذا أول إبحار لها؛ لكنها زودت بعتاد جديد بدلًا من العتاد والمعدات القديمة، التي ربما تتمثل في الشراع والمجاديف وغيرها، وإن لم تكن حديثة البناء، إلا أنها كانت مبنية بشكل جيد للغاية، يدل على العظمة التي تجعل البحارة يتفاخرون بسفينتهم، كما احتوت السفينة على خمسين مجدافًا، لكل جانب٢٥ مجدافًا(٣٣)، إضافة إلى قارب للنجاة(٣٤)، ووجود قارب واحد فقط على هذه السفينة الكبيرة التي تحمل مئات الأشخاص؛ دليل على قلة اهتمام الأوروبيين في ذلك الوقت بطرق السلامة الكافية لركاب السفن. هذا إلى جانب أن السفينة البيضاء يبدو أنها كانت ملونة باللون الأبيض؛ وذلك من خلال وصف قبطانها نفسه لها بأنها "تُدعى عن جدارة السفينة البيضاء"(٣٥)، وربما لم يكن اسمها يأتي من مجرد لون شراعها الأبيض، فغالبية السفن كانت أشرعتها تتميز باللون الأبيض، ولكن عسى أن يكون لون أخشابها الأبيض هو الذي ميزها وجعلها تسمى بهذا الاسم.

هذا إلى جانب أنه من المتوقع أن حجم السفينة البيضاء كان كبيرًا؛ وذلك بما أن حمولتها كانت كبيرة؛ إذ حملت على متنها أكثر من ثلاثمائة وخمسين شخصًا، إلى جانب كنوز الملك وعدة براميل من الخمر(٣٦)، وكذلك الممتلكات الشخصية للركاب من النبلاء، التي من المتوقع أنها كانت متعددة وثقيلة، هذا إلى جانب أنه ربما كانت السفينة البيضاء تتحمل حمولة أكبر من ذلك من حيث عدد الأشخاص، ولكنها اقتصرت على الحاشية المقربة فقط للوريث المستقبلي، وبعض الشخصيات المهمة الذين أمرهم الملك بالصعود على متن السفينة. كذلك كان عدد المجدفين بها نحو خمسين مجدفًا، وهذا إن دل فإنما يدل على كبر حجمها(٣٧).

وبالنسبة لسرعة السفينة البيضاء، فمن المتوقع أنها لم تكن بطيئة، وإلا فلم يكن الملك هنري الأول ليعتمد عليها في إيصال وريثه إلى إنجلترا، ولعلها كانت مشابهة لسفينة والد توماس التي

أوصلت ويليام الفاتح إلى إنجلترا قبل وصول بقية سفن أسطوله، وكذلك عدد المجدفين بها، الذين بلغ عددهم خمسين مجدفًا ماهرًا على حد قول المؤرخ فيتاليس(٣٨)، تدل على أنهم بإمكانهم التجديف المتواصل لإسراع السفينة، خاصة في حالة هبوب رياح جنوبية مواتية، ستعمل على الإسراع أكثر من سرعة السفينة، بالإضافة إلى كبر حجم شراعها الذي يساعدها على سرعة الإبحار(٣٩)، وقد وصف المؤرخ ويليام مالمسبوريWilliam of Malmesbury سرعة السفينة بقوله: " إنها تطير أسرع من السهم المجنح، وتكتسح السطح المتموج من العمق"(٤٠).

وعلى أية حال، فبعد انضمام السفينة البيضاء للأسطول الانجليزي، انتظر هذا الأسطول عدة أيام في ميناء بارفلور في انتظار هبوب رياح جنوبية مواتية تحركهم شمالًا باتجاه ميناء ساوثهامبتون؛ إذ كان من الضروري لأي سفينة تعبر القناة الإنجليزية أن تستغل فرصة هبوب الرياح المواتية لتساعدها على الإبحار بسلام؛ حتى لا تلقى مصيرًا مشؤومًا، وقد حفلت المصادر المعاصرة بذكر انتظار السفن في الموانئ عدة أيام قد تصل لشهور حتى تهب رياح مواتية، وذلك إدراكًا من بحارتها بأهمية هذه الرياح المناسبة(٤١)، والأمر نفسه انطبق على بحارة سفن الملك هنري الأول، الذين كانوا يدركون تمام الإدراك أهمية هبوب الرياح المواتية للإبحار، فلن يجازفوا بسفنهم وأرواحهم في ظلمات البحر، كذلك أيضًا لن يجازف هنري الأول بنفسه وأبنائه بالإبحار في رياح عكسية، الأمر الذي دفعه إلى الانتظار في ميناء بارفلور عدة أيام، وما يؤكد ذلك، هو الوثيقة التي أكد فيها هنري الأول على حقوق دير القديس فيجورSt. Vigor ، والتي أرخت في بارفلور في ٢١ نوفمبر ١١٢٠م، وكان من ضمن الشهود على الوثيقة ريتشارد إيرل تشيستر Richard Earl of Chester، الذي كان أحد ركاب السفينة البيضاء(٤٢)، ومعنى ذلك أن الملك هنري الأول انتظر بعد توقيع الوثيقة أكثر من أربعة أيام على الأقل في الميناء قبل الإبحار؛ وذلك لأن موعد إبحاره من ميناء بارفلور كان يوم ٢٥ نوفمبر ١١٢٠م.

وبالتالي فقد انتظر هنري الأول بأسطوله المتضمن السفينة البيضاء في ميناء بارفلور فترة من الوقت، حتى هبت الرياح الجنوبية التي استغلها بسرعة للإقلاع، وعلى الرغم من أن إبحاره كان في شهر نوفمبر، أي في فصل الشتاء، الذي يصعب الإبحار فيه، إلا أنه لم يكن يرغب في الانتظار

عدة شهور في نورماندي لحين انتهائه، فلعله رغب في العودة مسرعًا إلى إنجلترا؛ لينظم أوضاعها بعد فترة غياب طويلة عنها استغرقت أربع سنوات(٤٣)، كذلك لعله رغب في أن يلحق بالعودة للاحتفال بعيد الميلاد في إنجلترا، هذا إلى جانب أنه رغم صعوبة الإبحار في شهر نوفمبر، إلا أنه أهون عليه من شهر ديسمبر، الذي قيل عنه في إحدى نسخ مخطوطة المؤرخ جون فراوسات Jean Froissart في " الموسم المتأخر جدًّا في شهر ديسمبر، يكون البحر باردًا ومتكبرًا"(٤٤). في حين كان البحر في شهر نوفمبر هادئًا ومزدهرًا وقت إقلاع السفينة البيضاء، على حد قول جميع المصادر المعاصرة(٤٥)، الأمر الذي استغله الملك هنري الأول جيدًا دون تأخير.

هذا، وقد أجمعت المصادر المعاصرة سواء الإنجليزية أو النورمانية أو الفرنسية على أن عام ١١٢٠م هو عام حدوث الكارثة التي ستتعرض لها السفينة البيضاء(٤٦)، ماعدا المؤرخ المعاصر أوردريك فيتاليس في تاريخه، حيث وضع أحداث هذه الكارثة تحت عام ١١١٩م(٤٧)، وهذا لم يكن سهوًا منه، في مواصلة سرد أحداث الكارثة ضمن أحداث عام ١١١٩م، ولكنه كان يعتقد بالفعل أنها حدثت في هذا العام؛ لأنه يشير قبل ذلك إلى أن زواج ويليام الأثلينج من ماتيلدا من أنجو تم في يونيو ١١١٩م، ثم بعد ذلك صرح بأنه لم يمضِ على زواج ماتيلدا من ويليام سوى ستة أشهر حتى غرق زوجها في السفينة في نوفمبر، وبالتالي كان فيتاليس يعتقد أن الحدثين كانا في عام ١١١٩م، ويفصل بينهما ستة أشهر، وهذا ما يتعارض مع إجماع المصادر المعاصرة التي حددت الزواج بعام ١١١٩م(٤٨)، وحدوث الكارثة البحرية بسنة ١١٢٠م. وإلى جانب المؤرخ فيتاليس، أخطأت أيضًا حوليات دير القديس بطرس في بلجيكا في تحديد تاريخ أحداث هذه الكارثة بعام ١١١٩م(٤٩)، ولعل خطأها يرجع إلى بُعدها مكانيًّا عن دوقية نورماندي التي حدثت فيها هذه الكارثة، وبُعدها زمنيًّا، حيث ترجع هذه الحوليات إلى القرن الثالث عشر الميلادي.

وعلى الرغم من اتفاق غالبية المصادر حول العام الذي حدثت فيه هذه الكارثة البحرية التي تعرضت لها السفينة البيضاء، إلا أنهم اختلفوا فيما بينهم حول اليوم والشهر التي حدثت فيه هذه الحادثة، في حين اكتفت مصادر أخرى بذكر سنة وقوع تلك الكارثة دون ذكر اليوم والشهر(٥٠)، أما عن المصادر التي ذكرت اليوم والشهر، فقد تمحورت حول أربعة تواريخ مختلفين، التاريخ الأول: ٧

ديسمبر بالتقويم الروماني – الموافق ٢٥ نوفمبر–، وقد ذكر هذا التاريخ كل من المؤرخين أوردريك فيتاليس (١٠٧٥–١١٤٢م)[٥١] ، ووليام مالمسبوري(١٠٩٥–١١٤٣م)[٥٢]، وروبرت دي مونت تورينيRobert de Monte (١١٠٠– ١١٨٦م)، وقد حددها الأخير بيوم عيد القديسة كاثرين – الموافق ٢٥ نوفمبر[٥٣]، وكذلك في الإضافة الهامشية لبعض نسخ مخطوطة حولية ماثيو الباريسي(ت.١٢٥٩م)[٥٤]، أما التاريخ الثاني: يوم الخميس ٦ ديسمبر بالتقويم الروماني–الموافق ٢٦ نوفمبر– فقد ذكره المؤرخان سيميون دورهامSimeon of Durham (١٠٦٠–١١٢٩م)[٥٥]، وروجر دي هوفيدن Roger de Hoveden (ت.١٢٠١/١٢٠٢م)[٥٦]، أما التاريخ الثالث :٢٥ أكتوبر بالتقويم الميلادي، فقد ذكره صاحب حولية وارين، التي تنتهي أحداثها بسنة ١١٢١م (ربما كتبت في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي)[٥٧]، في حين كان التاريخ الرابع:٧ سبتمبر بالتقويم الروماني، ذكره المؤرخ الإنجليزي المتأخر هنري نايتونHenrici Knighton (ت.١٣٩٦م)[٥٨].

ويُعد تاريخ ٧ ديسمبر، الموافق ٢٥ نوفمبر هو الأدق؛ وذلك لاتفاق عدة مؤرخين معاصرين لوقت حدوث هذه الكارثة على هذا التاريخ. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن المؤرخين الذين ذكروا هذا التاريخ أغلبهم كانوا من نورماندي، أي من المنطقة نفسها التي حدثت فيها هذه الكارثة البحرية، بخلاف المؤرخين الذين ذكروا تواريخ مغايرة، فقد كانوا من إنجلترا وليس نورماندي، بمن فيهم المؤرخ سيميون دورهام رغم معاصرته للحدث، ومن جهة ثالثة فإن التواريخ الأخرى التي ذكرتها المصادر، نجد فيها اليوم وليس الشهر هو الذي يتوافق مع ٢٥، فحولية وارين ذكرت ٢٥ أكتوبر، فلعلها أخطأت في الشهر، ولكنها أصابت في اليوم، خاصة أنه من المستبعد أن تكون الكارثة حدثت في شهر أكتوبر؛ وذلك لأن الملك هنري الأول وركاب السفينة البيضاء ظلوا في بارفلور حتى ٢١ نوفمبر، بناءً على ما تؤكده الوثيقة المؤرخة في بارفلور في ٢١ نوفمبر، والتي كان أحد الشهود عليها ريتشارد إيرل تشيستر أحد ركاب السفينة البيضاء[٥٩]، أما التاريخ الذي ذكره المؤرخ الإنجليزي هنري نايتون ٧ سبتمبر بالتقويم الروماني، فلعله كان بالفعل ٧ ، ولكن ٧ ديسمبر وليس سبتمبر بالتقويم الروماني، وكذلك المؤرخ الإنجليزي سيميون دورهام الذي ذكر يوم الخميس ٦ ديسمبر بالتقويم الروماني–٢٦ نوفمبر–، فيوم الخميس كان يوافق ٢٥ نوفمبر وليس ٢٦ نوفمبر[٦٠]، فلعله أخطأ في الشهر واليوم، ولكنه أصاب في يوم الأسبوع.

٣- ركاب السفينة البيضاء:

بعدما أمر الملك هنري الأول ابنه وعددًا كبيرًا من النبلاء بالصعود على متن السفينة البيضاء، سارع العديد من النبلاء ورجال الدين، إلى جانب عدد قليل من النساء، إلى الصعود على متنها دون أن يعرفوا ما يخفيه لهم القدر، وقد وصف المؤرخ ويليام مالمسبوري هؤلاء الركاب بقوله:" تقريبًا كل الأشخاص الذين لهم منزلة اجتماعية أو لهم شأن في البلاط ، سواء كان فارسًا، أو قسيسًا، أو نبيلًا شابًّا، يتدرب حتى السلاح؛ لأنهم- كما قلت- سارعوا بشغف من جميع الجهات، متوقعين إضافة ليست بالقليلة إلى سمعتهم، إذا كان بإمكانهم إما أن يتسلوا، أو يظهروا إخلاصهم للأمير الشاب"[٦١]، في حين ذكرهم المؤرخ جون ورسيستر John of Worcester بقوله: "حشد كبير من النبلاء والفرسان والشبان والشابات"[٦٢]، وإلى جانب هؤلاء الركاب ضمت السفينة البيضاء أيضًا قوة بحرية عسكرية وطاقم السفينة من البحارة[٦٣].

وبالنسبة لعدد هؤلاء الركاب الذين صعدوا على متن السفينة البيضاء، فقد حدد عددهم المؤرخ أوردريك فيتاليس بقوله: " وكان هناك، على حد علمي ثلاثمائة روح على متن السفينة المنكوبة"[٦٤]، وتميل الباحثة إلى اعتبار أن عدد ركاب السفينة البيضاء كان أكثر بقليل من العدد الذي ذكره فيتاليس؛ وذلك على أساس أن المؤرخ سيميون دورهام قد حدد عدد القوة البحرية العسكرية على متن السفينة بمئة وخمسين عسكريًّا، وعدد المجدفين بخمسين مجدفًا مثلما حددهم فيتاليس، إلى جانب ثلاثة من رؤساء السفينة[٦٥]، في حين حددت حوليات دير القديس بطرس والمؤرخ هنري نايتون عدد أبناء العائلة المالكة والنبلاء على متن السفينة بمائة شخص[٦٦]، وبالتالي يكون إجمالي هذه الأعداد هم الثلاثمائة روح الذين ذكرهم فيتاليس، ولكن أين أعداد الخدم الذين سيقدمون النبيذ والطعام لهؤلاء الأشخاص على متن هذه السفينة، خاصة أن الحولية الأنجلوسكسونية والمؤرخ روجر أوف ويندوفر Roger of Wendover قد ذكرا وجود خدم وطهاة وسقاة على متن السفينة البيضاء[٦٧]، كذلك ذكرت المصادر أن الناجي الوحيد من هذه الكارثة كان جزارًا، وبالتالي كان هناك أشخاص آخرون ينتمون إلى الطبقة الدنيا على متن هذه السفينة، يعملون على الأقل على خدمة النبلاء، وبناءً على ذلك يكون عدد ركاب السفينة البيضاء أكثر من العدد الإجمالي الذي ذكره

فيتاليس، فربما يقترب العدد من ثلاثمائة وخمسين شخصًا أو أكثر، وليس ثلاثمائة شخص مثلما ذكر فيتاليس .

وإذا ألقينا الضوء على بعض الشخصيات الرئيسية الذين كانوا على متن هذه السفينة البيضاء، فيأتي على رأسهم أبناء الملك هنري الأول، وهم: ابنه ووريثه الشرعي ويليام الأثلينج، الذي تجاوز السابعة عشر من عمره وقت الكارثة(٦٨)، إلى جانب ابنه غير الشرعي ريتشارد، وابنته غير الشرعية ماتيلدا كونتيسة بيرشPerche ، الذي أنجبهم هنري قبل إنجابه لويليام الأثلينج(٦٩)، وقد كان ريتشارد خير معين لوالده في حربه في نورماندي، ومدحته المصادر المعاصرة، وأثنت على شجاعته؛ إذ قال عنه المؤرخ ويليام مالمسبوري:" شاب شجاع وعزيز على أبيه لطاعته"(٧٠)، أما الكونتيسة ماتيلدا، فقد كانت زوجة روترو الثاني Rotrou II إيرل بيرش(١٠٩٩-١١٤٤م)، الذي لم يرافقها في هذه الرحلة المشؤمة(٧١). وإلى جانب ابني الملك وابنته، كان على متن السفينة ماتيلدا ابنة أديلاAdela أخت الملك هنري الأول، وشقيقة كل من ثيوبالد أوف بلوا Theobald de Blois وستيفن أوف بلوا Stephen de Blois ، والتي كانت برفقة زوجها ريتشارد إيرل تشيستر على متن السفينة(٧٢).

أما بالنسبة لزوجة ويليام الأثلينج ماتيلدا من أنجو، فلم تكن ضمن ركاب السفينة البيضاء، إذ ذكرت المراجع الحديثة أنها صعدت على متن سفينة أخرى غير السفينة البيضاء، والبعض أشار إلى أنها سفينة حماها الملك هنري الأول(٧٣)؛ وذلك على أساس أنها عاشت بعد الكارثة، وظلت في بلاط الملك هنري الأول لعدة سنوات قبل أن تعود لأنجو، وتترهبن حتى وفاتها عام ١١٥٤م(٧٤)، ولكن من خلال البحث في المصادر المعاصرة التي تناولت أحداث هذه الكارثة، والتي اعتمدت عليها، لم أجد أيٍ منها قد أتى على ذكر وجود ماتيلدا في ميناء بارفلور وقت الكارثة من الأساس، أو أنها صعدت على متن سفينة الملك أو متن أي سفينة أخرى غير السفينة البيضاء، وكذلك فإن المؤرخ المعاصر فيتاليس الذي تحدث بالتفصيل عن من صعد على متن السفينة البيضاء، ومن امتنع عن الصعود إليها، بعدما شاهدوا حالة السكر عليها، لم يأتِ على ذكر ماتيلدا في أثناء الكارثة.

أما عن ما ذكره المؤرخ واسWace من أن ماتيلدا " بعد زواجها، أُخذت الفتاة إلى إنجلترا، متوقعة أن تكون سيدة وملكة"[٧٥]، فهذا لا يعني بالضرورة أنه يقصد أنها نُقلت لإنجلترا وقت الكارثة، خاصة أنه في هذا الموضع كان يتحدث بوجه عام عن ويليام الأثلينج وزواجه من ماتيلدا قبل حديثه عن الكارثة، وبالتالي فلعله يقصد أنها بعد الزواج الذي تم في يونيو ١١١٩م، نُقلت لإنجلترا مع زوجها ويليام الأثلينج، الذي من المرجح أنه لم يظل في نورماندي طوال عام ونصف – من زواجه في يونيو ١١١٩م حتى حدوث الكارثة البحرية في أواخر نوفمبر ١١٢٠م– دون أن يرجع إلى إنجلترا، فلعه عاد إلى إنجلترا من وقت لآخر لتنظيم شئون المملكة في ظل غياب والده في نورماندي الذي استغرق أربع سنوات متواصلة، ووفاة والدته ماتيلدا في سنة ١١١٨م التي كانت تشرف على المملكة في أثناء غياب زوجها الملك هنري الأول[٧٦]، ومن المتوقع ألا يترك الأخير إنجلترا وحدها دون إشراف من وريثه الشرعي الذي يسعى جاهدًا لتهيئته للعرش، والذي يُعد هذا الوقت فرصة طيبة لإظهار ابنه على الساحة في إنجلترا .

ويُضاف إلى ما سبق أنه من غير المنطقي أن تترك ماتيلدا زوجها ويليام الأثلينج، وتذهب على متن سفينة أخرى حتى لو كانت سفينة حماها، خاصة أن زوجات بعض النبلاء اللاتي كن معهم في نورماندي، رافقوا أزواجهن على متن السفينة البيضاء، إذ بلغ عددهن ثماني عشرة امرأة[٧٧]، هذا إلى جانب أنه إذا كانت ماتيلدا في ميناء بارفلور وقت الكارثة وصعدت على متن سفينة أخرى، وبالتالي نجت من هذه الفاجعة، لكانت المصادر المعاصرة استفاضت في الحديث عن إنقاذ الرب ونجاته لها، ولربطوا بين هذا وبين ترهبنها بعد ذلك.

وعلى أية حال، فإلى جانب أقارب الملك هنري الأول الذين كانوا على متن السفينة البيضاء، كان هناك بعض من خدمه وأعوانه: مثل ويليام بيغود William Bigod[٧٨]، وكاتب الملك الذي يُدعى جيزولفGisulf، والمحارب النورماندي رالف الأحمرRalph the Red[٧٩]، إلى جانب الكثيرين من النبلاء والفرسان الذين ساعدوا هنري الأول في حروبه في نورماندي، وتوقعوا أنهم بمجرد وصولهم إلى إنجلترا سالمين سيحصلون على المكافآت والرتب العالية التي وعدهم بها الملك.

كما صعد على متن السفينة البيضاء نبلاء من أسرة هيو إيرل تشيستر Hugh earl of Chester(١٠٧١-١١٠١م)[٨٠]، منهم ابنه ريتشارد إيرل تشيستر مع زوجته ماتيلدا ابنة أخت الملك، وأوتويلOttuel الابن غير الشرعي لهيو، والذي كان معلمًا لويليام الأثلينج، وجيفري رايدلGeoffrey Ridel الذي يُعتقد أنه صهر ريتشارد إيرل تشيستر، ووليام أف رودلان William of Rhuddlan ابن روبرت ابن عم هيو إيرل تشيستر[٨١].

وإلى جانب هذه الشخصيات التي صعدت على متن السفينة البيضاء، كان هناك بعض من رجال الدين، الذي ذكرت المصادر أسماء بعضهم مثل: جيفري Geoffreyرئيس شمامسة هيريفورد Hereford[٨٢]، ووليام ابن روجرRoger أسقف كوتانسيس Coutances – الذي كان الملك قد عينه واحدًا من القساوسة الأربعة الرئيسيين– مع عمه وثلاثة من أبناء عمه، وقد صعد روجر أسقف كوتانسيس مع ابنه على متن السفينة؛ لمباركتها، ثم رحل عنها مودعًا ابنه وأخاه، دون أن يدرك أنه الوداع الأخير[٨٣].

أما عن أسماء الشخصيات من الطبقة الدنيا اللذين كانوا على متن السفينة، فقد ذكرت المصادر اسم واحد منهم فقط، هو الجزار بيرولدBerold من مدينة روانRouen، وهو الناجي الوحيد من هذه الكارثة البحرية[٨٤]، ولولا ذلك لما أتت المصادر على ذكره، وقد ذكر المؤرخ واس سبب صعود بيرولد على متن السفينة البيضاء، وهو أنه كان يلاحق البلاط؛ لأنه باع اللحم لعدد من الأشخاص بالدَّين، فصعد على السفينة حتى يحصل على مستحقاته[٨٥]، وإن كان هذا السبب يبدو غير مقنع، فمن غير المعقول ألا يستطيع هؤلاء النبلاء دفع مستحقاتهم، ولكن ربما كان طاقم السفينة هم من أخذوا منه اللحم بالدين، أو ربما كان هو يخدم مع الطهاة، ويقوم بأعمال الجزارة لهم، وليس لتحصيل أمواله.

وعلى أية حال، فبمجرد أن سمح الملك هنري الأول لهؤلاء الركاب بالصعود على متن السفينة البيضاء، وبمجرد أن عرف القبطان توماس أن سفينته هي التي سيستقلها هؤلاء الركاب مع ابن الملك وحاشيته، طار فرحًا هو وبحارته، الذين حاولوا تملق ابن الملك، وطلبوا منه أن يمدهم بالخمر للاحتفال بتشريفه لهم على متن سفينتهم، وقد أجاب ويليام لطلبهم؛ ليظهر كرمه وسخاءه، فأمر

بثلاثة براميل من الخمر لهم، وبمجرد إمدادهم بالخمر سارعوا إلى شربه حتى الثمالة[٨٦]، في فرحة احتفالية بتشريف ابن الملك لسفينتهم، والتي ربما لم ينالوا هذا التشريف من قبل، وفي الوقت نفسه لمواجهة المناخ البارد لشهر نوفمبر في البحر، حتى لا يشعروا ببرودة المناخ.

ولم يقتصر شرب الخمر على البحارة والحرس البحري فحسب، بل كان ويليام ومن معه يتناولون الخمر أيضًا، وهذا ما يُستشف مما لمح إليه المؤرخ فيتاليس؛ من أن بعض الأفراد غادروا السفينة قبل إقلاعها بسبب كونها" مزدحمة بالشباب المشاغبين والجامحين"[٨٧]، كذلك ما نوه إليه المؤرخ مالمسبوري بقوله: كل النبلاء الشباب تجمعوا حوله(ويليام)، من تشابه الأنشطة الشبابية، وقد امتلأ البحارة أيضًا بالنبيذ بشكل غير معتاد"[٨٨]، ومعنى عبارة: "البحارة أيضًا" أن النبلاء شربوا الخمر والبحارة أيضًا، وإن كان يحق للركاب من النبلاء شرب الخمر، للاستمتاع في هذه الرحلة البحرية، ولمواجهة الطقس البارد، إلا أنه ليس من حق البحارة أن يشربوا الخمر بهذه الكثرة، وهذا ما أوضحه مالمسبوري بعبارته:" بشكل غير معتاد".

وتجدر الإشارة إلى أن تناول البحارة للخمر ربما لم يكن قبل هبوب الرياح المواتية، في أثناء انتظارهم لها بفترة طويلة، بل بعد هبوب هذا الرياح؛ ويُستدل على ذلك بما ذكره المؤرخان فيتاليس ومالمسبوري من أنه قبل إقلاع السفينة البيضاء من رصيف الميناء، كانت سفينة الملك هنري في البحر المفتوح تسبقهم، وكان بحارة السفينة البيضاء في حالة سكر تامة [٨٩]، وكذلك مما ذكره المؤرخ سيميون دورهام من أن" الأب أبحر أولاً؛ ثم تبعه الابن في وقت لاحق إلى حد ما"[٩٠]، ومعنى ذلك أن الرياح المواتية أتت، فغادر الملك هنري الميناء بسفينته، ثم بعد ساعات بدأ بحارة السفينة البيضاء في الإقلاع، وحينها كانوا في حالة سكر سيئة، أي كان لديهم الوقت الكافي لشرب الخمر قبل الإقلاع هذا من جهة، ومن جهة أخرى، عندما صعد بعض الركاب للسفينة، ووجدوا حالة السكر والهرج عليها، غادروها إلى سفن أخرى[٩١]، أي كان ما يزال عند صعود الركاب وبدء التحرك كان البحارة يشربون الخمر ويحتفلون. وبالتالي فلو كان تناولهم للخمر قبل هبوب الرياح المواتية، لكان لديهم عدة ساعات من وقت إبحار سفينة الملك حتى إبحار سفينتهم، بإمكانهم التوقف عن الشرب والإفاقة من حالة الثمالة، ولكنهم كانوا يحتفلون بالخمر حتى بدء الإبحار،

وبذلك لم يكن هناك مبرر لما فعلوه البحارة سوى إهمالهم وعدم مبالاتهم، وأن فرحة الاحتفال أعمتهم عن القيام بدورهم على أكمل وجه.

وبالتالي فقد كان ركاب السفينة البيضاء، سواء النبلاء أو البحارة أو الحرس، في حالة شديدة من السكر والثمالة، جعلتهم في غير وعيهم وإدراكهم، لدرجة قيامهم بطرد بعض الرهبان والقساوسة الذين صعدوا على متن السفينة، حاملين معهم الماء المقدس لمباركتها؛ لأنها تحمل ابن الملك، حتى يسخر الله لهم طريق الإبحار بسلامة، إلا أن البحارة والحرس المخمورين تطاولوا عليهم، وطردوهم من السفينة مع إلقاء الشتائم والإهانات عليهم، ربما متفاخرين بأنفسهم وقدرتهم البحرية على الوصول بأمان دون عون الله، وقد لامهم المؤرخ فيتاليس على فعلتهم بقوله:" لم يكن لديهم أدنى شعور بالإخلاص تجاه الله الذي يحكم العاصفة ويهدى البحر الهائج"، وأرجع ما تعرضوا له للعقاب الإلهي بسبب فعلتهم، بقوله: "عوقبوا بسرعة على استهزائهم"[٩٢].

هذا ولم يقتصر الأمر قبل إبحار السفينة على طرد القساوسة فحسب، بل غادر بعض الركاب السفينة طواعيةً، فعندما صعدوا إلى السفينة للإبحار بها، ووجدوها مليئة بالشباب الجامح والمترنح، فرفضوا البقاء في السفينة وغادوها على الفور، ومن هؤلاء المغادرين اثنين من الرهبان، والكونت ستيفن أوف بلوا، ومعه فارسان يدعيان: ويليام دي رومارWilliam de Roumare ، ورابل الحارسRabel the Chamberlain ، وكذلك إدوارد من سالزبوريEdward of Salisbury، إلى جانب عدد آخر غادر السفينة[٩٣]، ولعل ما دفع الراهبين إلى النزول من السفينة هو الوازع الديني؛ إذ خشوا من الله أن يكونوا وسط هذه الحالة من الخمر والعربدة، وكذلك لإيمانهم وتوقعهم العقاب الإلهي لهذه السفينة التي لم يتم مباركتها من قبل القساوسة، أما الفرسان والنبلاء فلعلهم استشعروا الخطر المتوقع لمصير السفينة التي بحارتها في هذه الحالة من عدم الوعي والإدراك.

ويشير المؤرخ فيتاليس إلى أن الدافع الذي دفع الكونت ستيفن أوف بلوا إلى مغادرة السفينة، أنه كان يعاني من الإسهال[٩٤]، ولعل هذا الدافع قد يبدو غير منطقي بالمرة، فلو أنه كان مصابًا بالإسهال بالفعل، فكيف صعد على متن سفينة الملك للعودة لإنجلترا على حد قول فيتاليس نفسه، وإن كانت فكرة صعوده على متن سفينة الملك غير متوافقة مع الأحداث التي ذكرها المؤرخون،

حيث إن سفينة الملك أبحرت قبل السفينة البيضاء بعدة ساعات، ولكن لعل قصد فيتاليس أن الكونت ستيفن صعد على متن سفينة أخرى من سفن الملك للوصول إلى إنجلترا، خاصة أنه من المستحيل أن يتخلف عن الإبحار مع أسطول الملك المنتصر للعودة لإنجلترا، ويُضيع على نفسه مشاركة المنتصرين بالاحتفال والمكافأة عند وصولهم لإنجلترا، وبالتالي فإذا كان نزوله من السفينة البيضاء لأنه يعاني من الإسهال، فلماذا صعد على متن سفينة أخرى، أليس السفينة البيضاء مثلها مثل غيرها من السفن بها مكان لقضاء حاجته، ولو كان نزوله للذهاب إلى مكان لقضاء حاجته داخل الميناء، ثم العودة إليها مرة أخرى، ولكنها كانت قد أبحرت بالفعل، فحينها صعد على متن سفينة أخرى، فهذا أيضًا مستبعد إلى حد ما؛ وذلك لأنه من المتوقع أن السفينة البيضاء كانت ستبحر في أي لحظة دون انتظار، بعدما كانت سفينة الملك قد ابحرت بالفعل، فلن ينتظروا وقتًا آخر. هذا من جهة، ومن جهة أخرى: لماذا المعاناة والنزول والصعود من السفينة البيضاء وهو بهذه الحالة من الإعياء التي لا يستطيع معها الانتظار، فمن البديهي أن يجد مكانًا داخل السفينة لقضاء حاجته؟!

ولذلك فلعل الكونت ستيفن غادر السفينة البيضاء خوفًا على حياته، فبخبرته العسكرية أدرك مدى خطورة ثمالة البحارة على السفينة، فخشى على نفسه، ولكن إذا عُلم أنه غادر السفينة لوجود حالة الخمر والشغْب عليها، وأنه خشى على حياته، فنجى بنفسه بمغادرة السفينة والصعود على متن سفينة أخرى، وترك ابن الملك يواجه المصير الذي توقعه ستيفن، فسيجلب حينها على نفسه بذلك غضب الملك؛ لذلك أشاع عن نفسه – بعد غرق السفينة البيضاء– أنه كان يعاني من الإسهال؛ لذلك اضطر مجبرًا إلى ترك ابن الملك، ومغادرة السفينة.

٤- إبحار السفينة البيضاء وغرقها:

بدأت السفينة البيضاء في الإقلاع من رصيف الميناء بعد إبحار سفينة الملك هنري الأول بعدة ساعات؛ إذ ذكر المؤرخ ويليام مالمسبوري أن إقلاع سفينة الملك كان بعد غروب الشمس مباشرة[٩٥]، ويتفق معه في ذلك المؤرخ فيتاليس، الذي أشار إلى أن الملك أقلع " في الساعة الأولى من الليل"[٩٦]، في حين كان إقلاع السفينة البيضاء من رصيف الميناء في المساء، بعدما حل

الظلام الدامس[٩٧]، وهذا ما يؤكده المؤرخ سيميون دورهام بقوله إن:" الأب أبحر أولاً ؛ ثم تبعه الابن في وقت لاحق إلى حد ما"[٩٨]، وهنا يأتي التساؤل: لماذا تأخرت السفينة البيضاء في الإقلاع عدة ساعات بعد إبحار سفينة الملك؟ ولعل الإجابة عن ذلك تتمثل في انشغال ركابها وطاقمها بالاحتفال والتهريج، وانغماسهم في شرب الخمر، فلم يعوا إقلاع سفينة الملك في البحر، وعندما أدركوا ذلك سارعوا إلى الإبحار.

وعلى أية حال، فبعدما فطن الركاب إلى إبحار سفينة الملك، سارعوا إلى قبطان السفينة البيضاء توماس "فحثوه على بذل قصارى جهده لتجاوز الأسطول الملكي" الذي كان في عرض البحر بالفعل، فما كان من توماس الذي رغب في أن يُضيف نوعًا من الإثارة والمتعة لركاب سفينته، إلا أن صاح بأعلى صوته أنه:" سيترك وراءه قريبًا جميع السفن التي بدأت قبلهم" وكأنه حول الأمر إلى رحلة سباق وليس مجرد رحلة عودة؛ لذا أعطى لطاقمه إشارة الإقلاع، فحينها سارع البحارة الثملون دون تأخير إلى الحبال والأشرعة وسحبوها بكل صخب وهرج[٩٩]، وبدأوا في التجديف بأقصى سرعة ممكنة، فجعلوا السفينة تندفع عبر المياه بسرعة كبيرة، في الوقت الذي أخذ قائد الدفة يوجهها إلى الأمام دون أن يأخذ حذره من الصخرة الكبيرة التي تقبع في البحر على بعد مسافة صغيرة من الميناء، فاصطدم بها بقوة شديدة[١٠٠]، وقد أجمعت المصادر المعاصرة على قرب هذه الصخرة من الميناء؛ إذ نوه سيميون دورهام إلى ذلك بقوله:" عندما لم تكن السفينة بعيدة عن الأرض، بقوة الإبحار، انطلقت على الصخور بمجرد أن غادرت الميناء"[١٠١]، في حين أشار إليها مالمسبوري بقوله:" صخرة ارتفعت فوق الأمواج غير بعيدة عن الشاطئ"[١٠٢]، أما المؤرخ واس فقد أدلى بدلوه في ذلك بقوله: "وكانوا لا يزالون قريبين من الميناء، عندما جنحوا إلى صخرة"[١٠٣].

ولما كانت هذه الصخرة الضخمة قريبة من الميناء، فمن البديهي أنها كانت معروفة لجميع البحارة الذين كانوا يعبرون البحر من بارفلور وإليها، فكانوا يتجنبونها دائمًا، وهذا ما يُستشف مما ذكره المؤرخ فيتاليس بقوله:" كانت تظهر كل يوم، عندما يكون المد خارجًا، وتغطيها الأمواج عند ارتفاع المياه"[١٠٤]. وقد انفرد المؤرخ روجر دي هوفيدن بذكر الاسم الدقيق الذي كان يُطلق على صخور هذه المنطقة التي من ضمنها هذه الصخرة الضخمة، ألا وهو تشاتيراس Chaterase

المعروفة الآن باسم Raz de Gatteville[١٠٥]. في حين انفرد المؤرخ روبرت من توريني بذكر اسم الموقع الدقيق الذي توجد بها هذه الصخرة، إذ ذكر:" في مكان خطير للغاية في البحر بين بارفلور وساوثهامبتون، أطلق عليه السكان المحليون كاتي رازCatte raz "، وهي التي تعرف الآن باسم راز دي بارفلورRaz de Barfleur [١٠٦].

وهناك تساؤل يطرح نفسه على بساط البحث هو: كيف لم يلاحظ قائد الدفة هذه الصخرة المعروفة له جيدًا والقريبة من الميناء؟ حتى وإن كانت تغطيها الأمواج وقت الإبحار، فمن المتوقع أنه كان يدرك مكانها جيدًا، فلماذا لم يتجنبها بالإبحار بعيدًا عنها؟ ولكن لعله كان في حالة شديدة من الثمالة جعلته لا يعي بأن بحارته قطعوا هذه المسافة الصغيرة في وقت أقصر للغاية من المعتاد، بسبب سرعة إبحارهم، فوصلوا سريعًا عند هذه الصخرة، قبل أن يوجه دفته بعيدًا عنها.

والجدير بالذكر أن غالبية المصادر المعاصرة تحدثت عن اصطدام السفينة البيضاء بالصخور، دون أن تشير إلى حالة البحارة التي كانت السبب في حدوث هذ الاصطدام، فالمؤرخ سيميون دورهام أرجع اصطدامها بالصخور إلى السرعة السيئة[١٠٧]، في حين لم يذكر المؤرخون: إديميري ووروبرت من توريني وجون ورسيستر سبب الاصطدام في الصخور[١٠٨]، ومن البديهي أن البحارة لن يصطدموا بالصخرة القريبة من الميناء، والتي يعرفها البحارة جيدًا في الذهاب والإياب، وكذلك لن يسيروا بسرعة سيئة وهم قريبون من الميناء، إلا إذا كانوا في غير وعيهم وإدراكهم، بسبب الخمور التي تناولوها.

وعلى أيه حال، فمع سرعة إبحار البحارة، ارتطمت مقدمة السفينة اليمنى بالصخرة بقوة شديدة للغاية[١٠٩]، فانشطر منها لوحان خشبيان[١١٠]، وتحطمت بعض المجاديف تمامًا في هذه الجزء من السفينة، وأخذت المياه تنساب إلى داخل السفينة؛ الأمر الذي أصاب الجميع بذعر شديد، ومع صيحات مدوية ركض البحارة على سطح السفينة؛ لرمي الخطافات بسرعة من أجل إبعاد السفينة عن الصخرة، ولكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل؛ إذ كانت المياه أقوى منهم، فبدأت تجرف بعض أفراد الطاقم في البحر، وتغمر السفينة بأكملها، حتى أغرقتها تمامًا، وأغرقت معها البعض الآخر من الطاقم والركاب[١١١].

هذا وفي أثناء محاولة طاقم السفينة إنقاذ سفينتهم، استشعر الحرس الملكي المسئول عن حماية ابن الملك بخطورة الوضع؛ لذا هبوا إلى محاولة إنقاذ ويليام الأثلينج، فوضعوه في قارب النجاة، وأنزلوا القارب إلى المياه، وجدفوا سريعًا بعيدًا عن السفينة التي بدأت تغمرها المياه، ولكن مثلما كانت محاولة البحارة لإنقاذ السفينة باءت بالفشل، هكذا كان الحال مع الحرس الملكي الذين فشلوا في إنقاذ أميرهم؛ إذ ذكر المؤرخ ويليام مالمسبوري أن الكونتيسة ماتيلدا –التي كانت تصارع الموت– شاهدت قارب النجاة الذي يحمل أخاها، فناشدته بالعودة لإنقاذها، وألا يتخلى عنها بوحشية، فما كان من ويليام الأثلينج الذي أخذته الشفقة على أخته غير الشقيقة، على حد قول المؤرخ، إلا أن أمر القارب بالعودة لإنقاذها، ومن هنا كانت نهايته، فبمجرد عودة القارب هرع الركاب الغارقون في البحر بشكل هستيري إلى القارب، محاولين التشبث به، فقفز أعداد كبيرة منهم عليه، مما أدى إلى زيادة الوزن عليه، وانقلابه وغرقه هو الآخر. وبالتالي ضاعت الفرصة الأخيرة لويليام الإثلينج لإنقاذه، وهي الفرصة التي قال عنها مالمسبوري:" وكان من الممكن بالتأكيد أن يتم إنقاذه من خلال الوصول إلى الشاطئ"(١١٢).

ومما ينبغي ذكره أن رواية محاولة إنقاذ ويليام الإثلينج وعودته بالقارب لإنقاذ أخته غير الشقيقة، قد انفرد بذكرها المؤرخ ويليام مالمسبوري، ويبدو أن الجزء الأول من هذه الرواية منطقي ومتوقع، فمن البديهي أن يسارع الحرس الملكي لإنقاذ الأمير المسئولين عن الدفاع عنه بمجرد مشاهدتهم للسفينة وهي تغرق، ولكن فكرة أنه عاد بالقارب بعد أن أبحر بعيدًا عن السفينة من أجل إنقاذ أخته، ربما تكون إضافة من المؤرخ أو توقع منه للسبب الذى أغرق القارب؛ وذلك لأنه من المتوقع أن القارب لم يبحر بعيدًا حتى يعود ثانيةً، فمن البديهي أنه بمجرد نزول القارب إلى المياه، وهو يحمل ابن الملك، استشعر الركاب بخطر غرق السفينة لا محالة، فهرعوا مسرعين إلى القارب أملًا في النجاة، فغرق بهم قبل أن يبحر بعيدًا عن السفينة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لعل المؤرخ ويليام مالمسبوري أراد أن يمدح ويثنى على العائلة المالكة النورمانية بحكم انتمائه، وإظهار ابن الملك بمظهر المحب لأخته، خاصة أنه مدحه في موضع آخر بقوله:" أمير متعلم ومقدرًا للخلافة"(١١٣)، وفي الوقت ذاته لعله رغب في أن يُضيف نوعًا من الدراما على روايته.

وعلى أيه حال، فبعد أن غرقت السفينة البيضاء بالمياه، بما تحمله من ركاب وبحارة وحرس، انتشروا على سطح المياه يصارعون المياه الباردة والموت، ويتلفظون أنفاسهم الأخيرة، يحاول بعضهم النجاة على حساب الآخر، فيقفز أحدهم فوق الآخر أملًا في التنفس ولو لثوانٍ معدودة، بينما يحاول البعض منهم التشبث بأقاربهم للموت أو النجاة معًا، كما يشير المؤرخ فيتاليس أن أوتويل أخو ريتشارد إيرل تشيستر لف ذراعه حول تلميذه الأمير ويليام وغرقوا معًا(١١٤)، في حين لجأ رجلان إلى بعض الألواح الخشبية للتشبث بها، أحدهما كان شابًا نبيلًا يدعى جيفري دي ليجل Geoffrey de l'Aigle (١١٥)، والآخر كان الجزار بيرولد؛ إذ سارعا إلى لوح خشبي، تمسكوا به بذراعيهم طوال فترة كبيرة من الليل؛ على أمل أن تصل إليهم مساعدة عاجلة من أي جهة(١١٦).

وفي أثناء تشبث هذين الرجلين باللوح الخشبي، وتلفظ من حولهم أنفاسهم الأخيرة، وكان من بينهم القبطان توماس الذي كان يصارع مصيره لبعض الوقت، وعندما شاهد هذين الرجلين على اللوح الخشبي، هرع إليهما يسألهما عن ابن الملك، وعندما علم منهما ما حل به من الغرق، خارت قواه، وتملكه اليأس، وتبددت رغبته في مصارعة الموت، وفضل الموت على الحياة، خوفًا من مصيره الحتمي الذي سيلاقيه لو نجا بنفسه في حين غرق ابن الملك، فسيكون مصيره إما الإعدام بأوامر الملك، أو السجن طوال حياته؛ لذا ترك نفسه للأمواج تبتلعه، ومات(١١٧).

وفي الوقت الذي غرق فيه القبطان، أخذ الرجلان وهما يرتجفان خوفًا، يشجعان بعضهما البعض للصمود في هذه المياه الشديدة البرودة، ويدعيان الله أن ينجيهما من هذه المصير المشؤوم، ولما كان" الليل باردًا إلى درجة الصقيع"، فلم يستطع النبيل جيفري الصمود طويلًا، ففقد قدرته على التحمل شيئًا فشيئًا، حتى فقد وعيه، وتركت يداه اللوح الخشبي، وغرق في المياه واختفى(١١٨)، في حين بقي الجزار بيرولد متحملًا هذه المياه الباردة حتى صباح اليوم التالي؛ وذلك لأنه كان يرتدي ثوبًا من جلد الغنم الخفيف القادر على عزل البرودة، ومن ثم حمايته من البرد القارس. هذا من جهة(١١٩)، ومن جهة أخرى فبطبيعة حياته الفقيرة كان معتادًا على حياة البرد والجوع والعطش؛ فاستطاع أن يتحمل وقتًا أكبر من غيره.

وفي صباح اليوم التالي للكارثة، وصل ثلاثة من الصيادين المحليين بمركبهم الصغير تجاه حطام السفينة البيضاء، وشاهدوا بيرولد الناجي الوحيد من هذه الكارثة، فحملوه على ظهر مركبهم وهو في حالة شديدة من الوهن، وأوصلوه إلى اليابسة، وبعد أن استعاد عافيته قليلًا، حكى لهم كل ما حدث في هذه الليلة الكارثية، وبالتالي كان هو شاهد العيان الوحيد على هذه الفاجعة، وإليه يرجع الفضل في معرفة تفاصيل تحطم السفينة البيضاء وغرقها، ولولاه لاندثرت تفاصيل غرق تلك السفينة، وقد عاش بيرولد بعد هذه الكارثة ما يقرب من عشرين عامًا في صحة جيدة، وطوال تلك الفترة أخذ يقص أحداث تلك الكارثة على مسامع من يرغب في معرفة ما حدث في تلك الليلة الكئيبة، ومن هنا جاء معرفة المؤرخين بتفاصيل هذه الكارثة(١٢٠).

وهناك تساؤل يطرح نفسه وهو: لماذا لم يستطع أي من هؤلاء الغارقين الوصول إلى الساحل سباحةً، خاصة وأن منطقة التحطم قريبة من ميناء بارفلور؟ ولعل الإجابة عن ذلك تكمن في عدم خبرة الكثيرين منهم بالسباحة، إلى جانب شدة برودة مياه البحر التي وصلت إلى درجة الصقيع، على حد قول المؤرخ فيتاليس(١٢١)، فعملت على تجميد أطرافهم وأعاقت حركتهم، وكذلك حالة الثمالة الثمالة التي كان فيها، أوهنت قوتهم وسلبت تفكيرهم، أما الركاب من النساء، فمن البديهي عدم معرفتهن من الأساس بالعوم، وحتى وإن كن يعرفن – وإن كان ذلك مستبعدًا– فملابسهن الثقيلة الواسعة ستصعب عليهن العوم أو حتى التشبث بألواح خشبية لفترة طويلة.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخ فيتاليس قد صرح بأن صرخات استغاثة الغارقين وصلت إلى مسامع بعض أقارب الركاب الذين ما زالوا على رصيف الميناء بعدما ودعوا أقاربهم، وكذلك بلغت مسامع سفينة الملك هنري الأول دون أن يعي ما الذي يحدث(١٢٢). وترى الباحثة أنه من المحتمل أن تكون الأصوات قد وصلت إلى الميناء؛ لقرب منطقة التحطم من الميناء، ولكن لماذا لم يهرع أولئك الذين كانوا على رصيف الميناء لإنقاذ هؤلاء الغارقين؟ ولعل ذلك يرجع إلى ظلام الليل الحالك الذي جعلهم لا يرون السفينة الغارقة، واعتقدوا أن صيحات الاستغاثة ما هي سوى أصوات الهرج والسكر والاحتفال الذي كان عليها الركاب قبل مغادرة الميناء، وفي الوقت نفسه لعل تلك الأصوات كانت غير واضحة، إذا كانت صرخة استغاثة أم صيحة سكر. أما عن ما ذكره فيتاليس

بأن صرخات الاستغاثة وصلت لمسامع سفينة هنري الأول، بقوله: إن" الملك ورفقاءه الذين كانوا بعيدين في البحر، سمعوا الصرخات المرعبة للرجال الذين قضي عليهم، ولكنهم لم يعرفوا السبب حتى اليوم التالي...." فهذا الأمر يبدو غير منطقي للغاية، وما هو إلا مبالغة من فيتاليس، فكيف يسمعون هذه الصرخات وهم على بعد عدة ساعات من السفينة البيضاء، بعيدًا عنها في عرض البحر، على حد قول المؤرخ نفسه، ناهيك عن صوت أمواج البحر التي تغلب على أي صوت آخر قادم من بعيد.

هذا وقد أبعدت المصادر المعاصرة أي تدخل للعواصف أو الطقس السيئ في تحطم السفينة البيضاء وغرقها؛ إذ أجمعت هذه المصادر على أن الرياح كانت مواتية تمامًا للسفينة البيضاء للإقلاع دون أي عائق؛ إذ أشار المؤرخ إدميري إلى ذلك بقوله:" أبحروا في البحر بهدوء رائع للهواء"(١٢٣)، وكذلك أوضح المؤرخ جون وريسيستر إلى ذلك بقوله:" غادروا الميناء وانطلقوا إلى البحر معتمدين على الطقس الهادئ للغاية(١٢٤)، في حين نوه المؤرخ هنري هانتينغدون بقوله:" إن البحر كان هادئًا للغاية... رغم عدم وجود رياح في البحر، إلا أن السفينة تحطمت على الصخور"(١٢٥). وكذلك لمح المؤرخ واس بذلك بقوله:" بدأوا في رياح خفيفة"(١٢٦)، أما حولية وارين فقد اتفقت مع هؤلاء المؤرخين عندما أشارت إلى أن ركاب السفينة صعدوا على متنها مع "رياح مواتية وبحر مزدهر"(١٢٧)، وبالتالي فإجماع هذه المصادر على هدوء البحر، يدل على أن الطقس كان في صالح السفينة البيضاء، وأنه لا يوجد أي دخل للعواصف أو الرياح العكسية في غرق السفينة البيضاء، وبالتالي فلولا حالة الثمالة التي كان عليها البحارة والقبطان، والتي دفعتهم إلى ارتكاب هذا الخطأ السخيف، ربما وصلت السفينة بأمان إلى إنجلترا.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخ الإنجليزي المعاصر هنري هانتينغدون قد أرجع سبب غرق السفينة البيضاء بما تحمله من ركاب، إلى انتقام الله؛ لأنهم كانوا يمارسون رذيلة اللواط على متن السفينة(١٢٨)، وقد نقل عنه بعض المؤرخين الإنجليز اللاحقين أمثال روجر من ويندوفر وماثيو الباريسي(١٢٩)، والمؤرخ الفرنسي ويليام من نانجيس(١٣٠)، ويبدو أن ما ذكره المؤرخ الإنجليزي هنري هانتينغدون غير حقيقي؛ ويُستدل على ذلك مما ذكره هو بنفسه بقوله:" يقال إنهم جميعًا، أو جميعهم

تقريبًا ملوثون باللواط"، ومعنى ذلك أن مصدره في تلك المعلومة ليس مؤكدًا، أو قد تكون مجرد إشاعة انتشرت في ذلك الوقت من البعض القليل، ورغم ذلك، إلا أنه أورد ما قيل في روايته، وعدَّها كأنها حقيقة، وبنى عليها حديثه اللاحق من إبداء الشماتة فيما حدث للركاب؛ إذ لم يُظهر أي تعاطف مع ما حدث لهم، بقوله: " انظروا إلى انتقام الله المتلألئ! لقد لقوا حتفهم ولم يُدفن جميعهم تقريبًا. وهكذا التهم الموت فجأة من استحقه، رغم أن البحر كان هادئًا للغاية"(١٣١)، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية، رغم أن هنري هانتيغدون كان والده نورمانيًّا ووالدته إنجليزية، إلا أنه بحكم قضائه أغلب وقته في إنجلترا، وتوليته رئاسة شمامسة هانتيغدون، عد نفسه إنجليزيًّا أكثر منه نورمانيًّا، ومن ثم كان يتحامل على الطبقة النورمانية الحاكمة؛ بسبب فسادها الأخلاقي(١٣٢)، كما أظهر في أكثر من موضع كراهيته الشديدة للوريث النورماني ويليام الإثلينج؛ إذ قال عنه: " رأينا ويليام، ابن الملك ، مرتديًا ثيابًا حريرية مخيطة بالذهب، محاطًا بحشد من القائمين على القصر والحراس... لم يعجبني التبجيل المفرط الذي أحاط به، ولا غطرسته المفرطة، التي برأيي أنذرت بكارثة مستقبلية، وقلت لنفسي: هذا التدليل في تربيته سيجعله وقودًا للنار، منتفخًا بفخر شديد، فكر في مملكته المستقبلية. لكن الله قال، ليس كذلك الأشرار، ليس كذلك. وبناءً عليه، حدث أنه بدلاً من أن يرتدي إكليلًا من الذهب، كان رأسه مكسورًا بصخور البحر؛ فبدلاً من أن يرتدي لباسًا مذهبًا، رمي عاريًّا في الأمواج؛ وبدلاً من اكتساب سمعة الحكم الملكي، دُفن في بطون الأسماك في قاع المحيط"(١٣٣). ويُلاحظ من خلال حديث هانتينغدون عن ويليام الإثلينج مدى كرهه الواضح لفساده الأخلاقي، الذي دفعه إلى تصديق ما قيل عن ممارسة الركاب للواط، حتى إن كانت مجرد إشاعة سمعها من القلة القليلة، رغم أن البذخ والإسراف والغطرسة لا يشترط أن يكونوا مقرونين برذيلة اللواط.

ومن جهة ثالثة، فإن جميع المؤرخين المعاصرين لهذه الكارثة لم يأتوا على ذكر ممارسة الركاب لهذا الفعل الفاحش، خاصة المؤرخين إدميري وويليام مالمسبوري وفيتاليس، الذين كانوا أكثر المصادر المعاصرة تفصيلًا عن هذه الكارثة البحرية، وفي الوقت ذاته كانوا هم اللذين تحدثوا بالتفصيل عن التجاوزات الجنسية للطبقة الحاكمة في عهد الملك ويليام الثاني روفوس، سواء

ممارسة اللواط أو التخنث، أكثر مما ذكره هانتينغدون نفسه عن تلك الفترة[١٣٤]، فإن كان ركاب السفينة البيضاء مارسوا الفعل البذيء الذي ذكره هانتينغدون، لكان ذلك فرصة ذهبية لهؤلاء المؤرخين الرهبان ليذكروا ذلك؛ لكي يثبتوا أن مخالفة أوامر الله ومعصيته تجلب القصاص السريع والعقاب العنيف، وبالتالي يكون ذلك عبرة للجميع للاتعاظ. ومن جهة رابعة فإن المؤرخ النورماني المعاصر روبرت من توريني الذي أطلع على رواية هنري هانتينغدون، واستعان بها في روايته، لم يذكر ممارسة الركاب للواط، فلعله كان يُدرك بحكم معرفته الشخصية بهنري هانتينغدون– عندما قابله في أثناء زيارة الأخير لدير بيك في نورماندي في عام ١١٣٩م والذي كان توريني راهبًا فيه [١٣٥]– أن ما ذكره هانتينغدون في روايته في هذا الصدد غير صحيح، وأنه يتحامل على الطبقة العليا الحاكمة؛ لذا حذف ذلك من روايته.

هذا وقد اشتبهت البروفيسور فيكتوريا تشاندلر Victoria Chandler في كون كارثة غرق السفينة البيضاء جريمة مدبرة بفعل فاعل؛ لإغراقها وقتل من بها من ركاب، وأشارت بأصابع الاتهام إلى المستفيدين من وراء حدوث هذه الكارثة، وهما اثنان: الشخص الأول: ستيفن أوف بلوا، الذي تولى عرش إنجلترا بعد وفاة هنري الأول– وكان من ضمن المغادرين للسفينة البيضاء قبل لحظات من إبحارها، ولكنها استبعدت أن يكون هو؛ لأنه حتى مع وفاة الوريث الشرعي ويليام الأثلينج، فمن المتوقع أن الملك هنري الأول كان سيتزوج مرة أخرى لينجب أطفالًا، خاصة أنه لم يكن قد بلغ من العمر عتيًّا ليمنعه من الإنجاب، وبالتالي ففرصة وصول ستيفن للعرش لم تكن مؤكدة، كذلك كون شقيقته ماتيلدا على متن هذه السفينة[١٣٦].

أما الشخص الثاني المستفيد من وراء غرق السفينة البيضاء هو رانولف لو ميشين Ranulf le Meschin [١٣٧]، الذي كان ابن عم ريتشارد، إيرل تشيستر، الذي كان على متن السفينة البيضاء، بالإضافة إلى العديد من أفراد الأسرة الآخرين، الذين إذا ماتوا جميعًا، فسيكون بإمكان رانولف لو ميشين المطالبة بمقاطعة تشيستر، والتي بالفعل تولى حكمها بعد الكارثة البحرية، ودعمت فيكتوريا رأيها بكون ويليام دي رومار ابن زوجة رانولف، كان من ضمن المغادرين للسفينة البيضاء قبل إبحارها، وأنه ربما نسق وتواصل مع أحد الركاب، وهو ويليام أوف بيرو William de

Pirou الخادم الملكي، الذي ذكره فيتاليس ضمن الضحايا، ولكنها كشفت عن وجود اسمه موقعًا في وثيقة تعود لعام ١١٢١م مع اسم رانولف لو ميشين، مما يؤكد شكوكها، ورجحت فيكتوريا أن يكون هذا الخادم الملكي هو الذي رتب للمجدفين أن يكونوا في حالة السكر، مما سهل توجيههم بشكل خاطئ تجاه الصخرة، أو أنه ربما أدار الدفة تجاه الصخرة(١٣٨).

ولكن الباحثة تستبعد – إلى حد ما– ما ذكرته فيكتوريا؛ ففكرة تدبير مؤامرة بهذا الحجم، تحتاج إلى وقت كبير وتفكير عميق، وتخطيط مسبق، وليس بين عشية وضحاها، فصعود بعض النبلاء المحددين على متن السفينة البيضاء لم يكن معمولًا حسابه من الأساس، فلم يكن أحد يتوقع أن يأمر الملك هنري الأول هؤلاء النبلاء على وجه الخصوص بالصعود على متن السفينة البيضاء مع ابنه في أثناء انتظاره في ميناء بارفلور لهبوب الرياح المناسبة، ولم يكن متوقعًا أيضًا أن كل أقارب ريتشارد إيرل تشيستر سيكونون معًا على متن سفينة واحدة، هذا إلى جانب أنه هل كان مدبرو الكارثة –إذا صدقنا ذلك– متأكدين أن ريتشارد إيرل تشيستر وأقاربه لن يغادر أحد منهم السفينة قبل إبحارها مثلما حدث مع عدد من الركاب الذين لم يرضوا بالبقاء في السفينة وهي على حالة السكر والعربدة التي كانت عليها قبل إبحارها، وهل كانوا متأكدين أيضًا أن ريتشارد إيرل تشيستر أو أحد أقاربه لن يستخدموا قارب النجاة الموجود على متن السفينة للوصول إلى بر الأمان؛ أمر بديهي أن هذا شيء غير مؤكد، وبالتالي كيف يدبرون مؤامرة بناءً على أمر غير مؤكد ومضمون.

وحتى إذا افترضنا صدق ما ذكرته فيكتوريا، وأنهم دبروا لهذه المؤامرة من أجل التخلص من ريتشارد إيرل تشيستر وأقاربه، فعندما شاهدوا ابن الملك هنري الأول على متن السفينة التي تحمل ريتشارد وأقاربه، ألم يساورهم الخوف والتردد من تنفيذ مخططهم والتخلص من ابن الملك؟ فإذا فشلت خطتهم، أو كُشفت، فسيكون مصيرهم أسوأ من فعلتهم. وكذلك من غير المنطقي أن يستطيع شخص واحد أن يدفع أكثر من ثلاثمائة وخمسين شخصًا للسكر والثمالة بهذه الحالة التي كان عليها الركاب وطاقم السفينة، خاصة أنه لم يكن متوقعًا من الأساس أن يمنح الأمير ويليام الأثلينج البحارة كل هذه الكميات من الخمر، لتتم الجريمة بالطريقة التي ذكرتها فيكتوريا.

ويُضاف إلى ذلك أن المصادر المعاصرة لم يشك أي منهم ولو بشكل عابر في كون هذه الكارثة البحرية جريمة مدبرة بفعل فاعل. أما عن استشهاد فيكتوريا بما ذكره المؤرخ فيتاليس من كون ويليام أوف بيرو من ضمن الضحايا، ثم عثورها على اسم ويليام أوف بيرو على وثيقة مؤرخة لسنة١١٢١م، فلعل هذا خطأ عابرًا من فيتاليس، عندما ذكر اسم ويليام من ضمن الركاب والضحايا، فلعله كان من ضمن المغادرين وليس من ضمن الضحايا، خاصة أن هذه ليست المرة الوحيدة التي يخطئ فيها المؤرخ فيتاليس؛ فقد ذكر عدة معلومات جانبه فيها الصواب(١٣٩)، أما عن وجود اسم ويليام أوف بيرو مع رانولف لو ميشين في الوثيقة المذكورة، فقد يكون من قبيل الصدفة، وليس دليلًا على التواطؤ بينهما فيما مضى، وبالتالي فمن غير المعقول أن نبني حدثًا كاملًا بناءً على خطأ عابر من مؤرخ، ونثبت جريمة ضخمة بناءً على صدفة بحتة!

وعلى أية حال، فبالعودة إلى الناجي الوحيد بيرولد، بعدما قص على الصيادين والسكان المحليين ما حدث للسفينة البيضاء، وذلك في صباح اليوم التالي للكارثة، حينها أخذت هذه الأخبار الكارثية تتداول على ألسنة المحليين على طول ساحل بارفلور في نورماندي(١٤٠)، ومن المتوقع أن الأمواج التي بدأت عملها من الليل حتى الصباح، أخذت تقذف بعض حطام السفينة وأمتعة الركاب على رمال ساحل بارفلور، فتأكد الجميع من صدق أخبار هذه الكارثة.

أما عن وصول تلك الأخبار المأساوية للساحل الموازي في إنجلترا، فقد استغرق ذلك وقتًا أطول؛ إذ وصل الملك هنري الأول وجميع سفن أسطوله ما عدا السفينة البيضاء إلى ميناء ساوثهامبتون في صباح اليوم التالي للكارثة بعد "رحلة طويلة وممتعة"، وانتظر الملك هناك قدوم السفينة البيضاء التي تحمل ابنه(١٤١)، ولما تأخرت السفينة في الوصول إلى الميناء، اعتقد الملك حينها أنها ربما رست في ميناء آخر(١٤٢)، الأمر الذي دفعه إلى ترك ميناء ساوثهامبتون، والتوجه إلى الشمال الغربي منه عند المصيد الملكي كلاريندونClarendon(١٤٣)، بعيدًا عن صخب وضجيج ميناء ساوثهامبتون، الذي كان يعج بالركاب الذين كانوا ينزلون من على متن السفن التي وصلت مؤخرًا للميناء، والذين بطبيعة الحال عندما علم النبلاء منهم بعدم وصول ابن الملك، انتظروا في الميناء حول الملك، مما دفعه إلى الابتعاد عن الميناء، لينتظر في هدوء أخبارًا عن

السفينة البيضاء. وفي الوقت نفسه سارع بإرسال رجال حول جميع الموانئ الإنجليزية؛ لمعرفة ما إذا كان ابنه وسفينته قد وصلوا إلى أي ميناء آخر غير ساوثهامبتون مكان الهبوط المقرر أم لا(١٤٤).

ولما لم يكن هناك أي عواصف في ذلك اليوم، قد تعمل على انحراف السفينة عن مسارها أو تأخر وصولها، زاد القلق والخوف حول مصيرها الكئيب، إلى أن وصل الخبر المشؤوم إلى مسامع الموجودين في الميناء من إحدى السفن القادمة من بارفلور، ولعل هذا الخبر وصل في نهاية اليوم التالي للكارثة، بعد نحو اثنتي عشرة إلى أربع عشرة ساعة من انتشار الخبر في بارفلور، وهذه المدة هي مدة رحلة أي سفينة قادمة من بارفلور لساوثهامبتون.

وبمجرد وصول خبر كارثة السفينة البيضاء إلى ميناء ساوثهامبتون، انتشر في كل مكان على طول ساحل البحر، ووصل إلى آذان نبلاء البلاط المرافقين للملك في كلاريندون، ومن بينهم الكونت ثيوبالد أوف بلوا ، الذي كانت شقيقته ماتيلدا على متن السفينة البيضاء، إلا أنه لم يجرؤ أحد في ذلك اليوم على إبلاغ الملك الذي كان شديد القلق وكثير الاستفسار عن مصير أبنائه ونبلائه، في حين أخذ النبلاء سرًّا يذرفون كثيرًا من الدموع؛ لفقدان أصدقائهم وأقاربهم، ولكن في حضور الملك أخفوا حزنهم؛ لئلا يكتشف سبب ذلك؛ خوفًا على حياته وخشيةً من غضبه عند سماعه للخبر الكارثي والمفجع، فانتظروا حتى يجدوا طريقة ملائمة لإخباره بتلك الكارثة التي لا يمكن إخفاؤها(١٤٥).

وفي اليوم الثالث للكارثة، عرف الملك هنري الأول بالخبر الكئيب(١٤٦)، عندما لجأ الكونت ثيوبالد إلى خطة حكمية لإبلاغ الملك بالكارثة، دون أن يستل سيفه ضد من سيبلغه الخبر؛ إذ أرسل صبيًّا صغيرًا يبكي عند قدمي الملك، وعندما سأله الملك عن سبب بكاؤه، أجابه بما حدث للسفينة البيضاء، وحينها لم يتمالك الملك نفسه، فخر واقعًا على الأرض(١٤٧)، ولعل الملك صدق مباشرةً ما قاله الصبي دون الحاجة إلى التحقق من شخصٍ كبير؛ وذلك لأنه من المؤكد أنه قد دب فيه اليأس وتملكه اليقين حول تعرض أبنائه لمصير مشؤوم، بعدما مر يومان ولم يصل أبناؤه إلى الساحل الإنجليزي.

وبمجرد أن سقط الملك على الأرض باكيًّا، سارع من حوله إلى مساعدته للوقوف على قدميه، واقتياده إلى غرفته الخاصة، وحينها عم البكاء والنحيب المكان من الجميع، الذين شاطروا الملك حزنه على أبنائه ومستشاريه، وفي الوقت نفسه على أقاربهم وأصدقائهم(١٤٨)، وقد وصف المؤرخون حالة الملك بعدما عرف بالخبر؛ إذ ذكر المؤرخ سيميون دورهام إنه " عندما سمع عن هذه الكارثة المفاجئة، أغمي عليه مثل رجل يفتقر إلى القوة"(١٤٩)، في حين أشار المؤرخ فيتاليس إلى ذلك بقوله:" أطلق العنان لبكاء وأنين حاد، لم يكن يعقوب قد أصيب بالحزن أكثر منه عند فقدانه ابنه يوسف"(١٥٠)، أما المؤرخ هيو ذا شانتر فقال: " كان الملك بالطبع ممتلئًا بالحزن العميق غير المقيد"(١٥١)، كما كتب المؤرخ واس في وصف حالة الملك:" سقط على سريره مرة أخرى حتى إنه لم يجرؤ أحد على التحدث إليه، ولم يتحدث إلى أحد. لا أستطيع أن أقول ما إذا كان قد أغمي عليه، لكنه كان مستلقيًّا هناك دون أن ينهض"، ممتنعًا عن تناول الطعام(١٥٢).

ولم تقتصر حالة الحزن على الملك ونبلائه عند سماعهم أخبار الكارثة؛ بل ساد الحزن والنحيب بين الكثيرين في مناطق عدة في إنجلترا ونورماندي؛ لفقدان أقاربهم أو أزواجهم أو أصدقائهم أو أسيادهم، وكذلك وريثهم الشرعي، وفي الوقت نفسه مثلت هذه الكارثة صدمة كبيرة وغمًّا شديدًا لمن لم يكن لهم معارف على السفينة؛ لحدوث مثل هذا الموت المفاجئ لكل هذا العدد دفعة واحدة وبهذه الطريقة الأليمة، وقد استمرت حالة الحزن والغم لعدة أيام في المملكة، وقد أوضح المؤرخ فيتاليس حزن الشعب على غرق ويليام والنبلاء بقوله:" وبقى الجميع بشكل عام يبكون من أجل الخسارة المفاجئة للأمير ويليام، الذي اعتبروه ولي العهد الشرعي للمملكة الإنجليزية، مع زهرة النبالة العالية"(١٥٣)، ويأتي حزن الشعب الإنجليزي على ويليام، من كونه ما زال شابًّا في مقتبل العمر، ويتعرض لمثل هذا المصير البشع، الذي لا يتمناه أحد منهم لأبنائه؛ وكذلك لأن الغالبية من الشعب لا يعرفون النبلاء الذين غرقوا بقدر معرفتهم بابن الملك أو سماعهم عنه، فمن البديهي أن يحزنوا ويشفقوا على ما تعرض له، وفي الوقت ذاته من المتوقع أنهم سيقلقون على مصير مملكتهم، خاصة أنهم يدركون أن الملك ليس له وريث شرعي غير ويليام، ومن ثم أي توتر سياسي مستقبلي سيضرر بالمملكة، وينعكس بالسلب على أوضاعهم.

وفي حين عم الحزن والنحيب مناطق عدة في إنجلترا، كان ساحل بارفلور في نورماندي يعج بالسكان المحليين الذين وقفوا أمام الشاطئ في انتظار خروج الجثث أو الأمتعة، كما أخذ البعض منهم يحاولون سحب بعض حطام السفينة وكنوز الملك وأمتعة الركاب إلى الساحل، ومن المتوقع أن بعض أهالي الركاب جاءوا بأنفسهم من إنجلترا إلى ساحل بارفلور لمتابعة العثور على جثث أقاربهم وأمتعتهم، وقد ذكر المؤرخ فيتاليس أن الأثرياء بحثوا عن غطاسين مهرة لتكليفهم بالبحث عن جثث أقاربهم، ووعدوهم بمكافآت مالية كبيرة إذا عثروا على جثث أقاربهم؛ حتى يتمكنوا من دفنهم بشكل لائق، فسارع حينها هؤلاء الغطاسون يسبحون على طول الشواطئ المجاورة للعثور على جثث الركاب، إلا أنه فشل سعيهم وخاب أملهم في العثور على الجثث، ومن ثم ضاع عليهم المكافآت التي وُعدوا بها(١٥٤).

ومما ينبغي ذكره أن المؤرخ فيتاليس قد أخطأ عندما أشار إلى أن البحث عن الجثث كان في عيد القديسة كاثرين الذي يوافق ٢٥ نوفمبر(١٥٥)، وهذا مستحيل حدوثه أن تقع الكارثة البحرية في مساء ٢٥ نوفمبر مثلما ذكر هو، والبحث عن الجثث يكون في اليوم نفسه في المساء، لأن سكان بارفلور لم يعرفوا بالكارثة، إلا في صباح اليوم التالي، على حد قول فيتاليس نفسه وبعض المؤرخين الآخرين.

وعلى أية حال، فبعد مرور عدة أيام من الحادثة، عثر البعض على عدد قليل جدًا من الجثث من بينها إيرل ريتشارد، في مكان بعيد عن موقع غرق السفينة، إذ جرفتهم الأمواج القوية، وكانت جثثهم غير واضحة الملامح؛ بفعل بقائهم عدة أيام في المياه، ولكن تم التعرف عليهم من خلال ملابسهم المميزة(١٥٦). في حين لم يتم العثور على جثة الأمير ويليام ابن الملك وغالبية ركاب السفينة وطاقمها الذين ابتلعتهم المياه، وأصبحوا طعامًا للأسماك، على حد قول غالبية المؤرخين(١٥٧)، حتى إن المؤرخ الفرنسي سوجر ربط بين نبوءة قديمة تقول:" ستتحول أشبال الأسود إلى أسماك البحر"، بما حدث لأبناء الملك هنري الأول وابنته الذين غرقوا، والتهمتهم أسماك البحر(١٥٨).

هذا، ولم يستمر الملك طويلًا في حالة الكآبة والأسى بعد فقدان الأمل حتى في العثور على جثث أبنائه، "فسرعان ما أخفى حزنه، واستأنف شجاعته الملكية"(١٥٩)، وقد انفرد المؤرخ واس بذكر رواية مفادها، أن ويليام تانكارفيلWilliam of Tancarville مستشار الملك(١٦٠)، تدخل لإخراجه من حالته الحزينة، قائلًا له: "يا مولاي، انهض! اذهب وتناول الطعام، لا تتأخر أكثر من ذلك، ستجعل أعداءك سعداء إذا واصلت الحزن... عليك أن تريحنا وتنصحنا جميعًا، أولئك الذين ماتوا وغرقوا، لن يعيشوا لأن المرء يحزن عليهم، ولا يمكن للابن أن يسترد أبًا، ولا الأب أن يسترد ابنًا بإظهار الحزن... "، وبسبب ما قاله تانكارفيل، قام الملك وجلس على السرير؛ وأمر بإحضار طعامه، وطلب من نبلائه تناول العشاء معه"(١٦١)، ولعل هذه الرواية التي ذكرها واس لا يُستبعد حدوثها؛ فمن المتوقع أن يتدخل المجاورون للملك؛ لمواساته وشد أزره، بكلمات تشجيعية حتى يخرج من حالته المأساوية، وما يؤكد ذلك هو ما ذكره المؤرخ هيو ذا شانتر الذي ذكر أنه كان لوالد الملك ويليام تانكارفيل كان من بين هؤلاء الآخرين الذين ذكرهم هيو ذا شانتر(١٦٢).

٥- نتائج غرق السفينة البيضاء:

كان لهذه الكارثة البحرية نتائج وخيمة وتغييرات ملحوظة على إنجلترا ونورماندي على المدى القريب والبعيد، ونقتبس ما ذكره المؤرخ ويليام مالسمبوري عندما ذكر أنه: " لم تجلب أي سفينة الكثير من البؤس إلى إنجلترا على الإطلاق" مثلما فعلت السفينة البيضاء..." فبوفاة هذا الشاب(ويليام) أحدث تغيير عجيب في الظروف القائمة"(١٦٣)، فبالفعل قلبت هذه الكارثة الأحداث رأسًا على عقب، فقد ضاعت هباءً وتحطمت بين عشية وضحاها كل جهود الملك هنري الأول التي بذلها في السنوات السابقة للكارثة، والتي سعى فيها بكل ما أوتي من قوة لضمان مستقبل آمن لوريثه وسلالته، فقد قضى سنوات طوال في التخطيط السياسي والقتال العسكري والنشاط الدبلوماسي داخل إنجلترا وخارجها، ضمن خلالها خلافة إنجلترا ونورماندي لابنه ووريثه الشرعي الوحيد، الذي استثمر فيه كل آماله وطموحاته، ووفر له زوجة مناسبة، وتوقع أنه سيكون له أحفاد في القريب العاجل،

واعتقد بذلك أنه ارتاح أخيرًا بعد سنوات طوال، ولكنه لم يكن يدرك أنه في ليلة واحدة فقط سيفقد كل جهوده السابقة، وعليه أن يبدأ من جديد.

فبمجرد وفاة ويليام الأثلينج، أصبح الملك هنري الأول بدون وريث ذكر يخلفه على عرش إنجلترا ونورماندي؛ لذا بمجرد أن تعافى من الصدمة العاطفية لهذه الأحداث، أدرك خطورة موقفه بدون وريث، وأنه عليه أن يتحرك سريعًا لإحياء قوته وبناء سلالته مرة أخرى، ولما كانت زوجته ماتيلدا الاسكتلندية قد توفيت قبل عامين في سنة ١١١٨م، فكان عليه أن يسارع إلى الزواج مرة أخرى؛ لينجب ابنًا شرعيًّا للخلافة، قبل أن يسرقه العمر؛ إذ كان قد بلغ من العمر إحدى وخمسين عامًا؛ فقرر ألا يضيع وقتًا طويلًا، فبعد مرور شهرين على وفاة ابنه، تخلى" عن العزوبية التي كان يعتز بها منذ وفاة ماتيلدا، متلهفًا على ورثة قرينته الجديدة في المستقبل"، على حد قول المؤرخ ويليام مالسمبوري[١٦٤]، فتزوج من أديليزا Adeliza في ٢٤ يناير ١١٢٠م[١٦٥].

وقد وقع اختيار الملك هنري الأول على أديليزا؛ لجمالها وأخلاقها ونسبها؛ إذ وصفها المؤرخ إدميري بقوله: " فتاة شابة حسنة الخلق ومتواضعة الجمال"[١٦٦]، في حين قال عنها المؤرخ جون ورسيستر: " عذراء تتمتع بجمال وتواضع كبيرين"[١٦٧]. وقد أرجعت عدة مصادر سبب زواج هنري الأول إلى نصيحة من رجال الدين وأمراء المملكة الذين نصحوه بالزواج؛ خوفًا من أن يرتكب فعلًا فاحشًا وغير لائق، ولإبعاده عن أي حياة فاسدة[١٦٨]، خاصة أن المؤرخ واس ذكر أن هنري بعد وفاة ابنه" كان يسعده ويكرس اهتمامه للنساء النبيلات والجميلات والعذارى اللطيفات؛ هذه لعبة تجلب الكثير من المتعة"[١٦٩]، ولكن من البديهي أن هنري الأول كان هدفه الأساسي من الزواج أن ينجب وريثًا شرعيًّا، وليس ليغنيه هذا الزواج عن العلاقات المحرمة.

وعلى الرغم من مساعي هنري الأول الجادة لإنجاب وريث ذكر جديد، إلا أنها باءت بالفشل؛ إذ لم تنجب الملكة أديليزا أي أطفال على مدار خمس عشرة سنة[١٧٠]، ولم تكن المشكلة من أديليزا نفسها، فبعد وفاة هنري الأول وزواجها للمرة الثانية أنجبت سبعة أطفال، وبالتالي لعل عمر هنري الأول وقدره منعاه من أن ينجب أطفالًا جددًا[١٧١]، وهذا ما لم يكن بحسبانه، وبالتالي ضاعت منه فرصته الأخيرة لإنجاب طفل ذكر شرعي.

هذا وقد نتج أيضًا عن غرق السفينة البيضاء، تجدد الخلاف بين الملك هنري الأول وفولك كونت أنجو على مقاطعة ماين التي كانت مهر ابنة الأخير لابن الأول، فبوفاة ويليام الأثلينج أصبحت زوجته ماتيلدا من أنجو أرملة، قبل أن تتمكن من إنجاب أي طفل من ويليام، وكانت حين غرق السفينة في إنجلترا، فاحتجزها هنري الأول في بلاطه؛ طمعًا في مقاطعة ماين التي حصل ابنه عليها كمهر، والتي بتمسكه بها كان يحمي نورماندي من الناحية الجنوبية، ولكن إذا أعاد ماتيلدا إلى والدها، سيُعيد معها المهر، وهذا ما كان يخشاه ويرفضه. وبالفعل عندما عاد فولك كونت أنجو من بيت المقدس في سنة ١١٢١م طالب الملك هنري الأول بإرسال ابنته ومهرها، الأمر الذي رفضه الملك هنري الأول وماطل في تنفيذه، وصمم على بقاء ماتيلدا في إنجلترا، وقد أشار المؤرخ فيتاليس إلى ذلك بقوله:" عامل ماتيلدا، زوجة الابن، بأكبر قدر من المودة، واستقبلها في إنجلترا بأعلى درجات الشرف طالما كانت ترغب في البقاء هناك... عاملها الملك الطيب على أنها ابنته، واحتجزها لفترة طويلة في بلاطه بقصد تزويجها بشخص رفيع المستوى،.."، وبالتالي فقد حاول هنري الأول بذلك أن ينقذ ما يمكن إنقاذه، إلا أن ماتيلدا نفسها رفضت البقاء؛ لأنه من البديهي أنها ترغب في العودة لوالدها ووالدتها، وليس البقاء مع والد زوجها المتوفى في أرض بعيدة عن أهلها، ولعل بقاءها بضعة سنوات في بلاط إنجلترا كان على غير رغبتها[١٧٢]، فهنري الأول احتجزها كرهينة لديه أكثر من كونها أرملة ابنه.

في النهاية اضطر الملك هنري الأول مرغمًا أن يرسل ماتيلدا إلى والدها في أنجو، مع هدايا قيمة وصفها المؤرخ واس بقوله:" معدات رائعة وأوانٍ من الذهب والفضة، وخيول حربية ومبلغ كبير من المال"[١٧٣]، ولعل هنري الأول بذلك كان يحاول أن يقلل من التوتر بينه وبين فولك كونت أنجو، بتكريم ابنته بهذه الهدايا القيمة، التي بطبيعة الحال لا تعادل قيمة مقاطعة ماين، وفي الوقت ذاته لإظهار كرمه وسخائه. وبعد عودة ماتيلدا إلى أنجو، بقيت لوقت قصير، حتى قررت الترهبن في دير فونتيفراولت St. Fontevrault، وذلك بعد عشر سنوات من زواجها[١٧٤]، وقد عبر المؤرخ واس عن رفضها الزواج مرة أخرى وترهبنها، بقوله:" لم تكن تريد أن تحط من قدر نفسها من خلال الزواج، كان من المفترض أن تكون ملكة على الأرض، ولكنها لم تستطيع أن تكون كذلك...؛ وبما أنها لم تتمكن من أن يكون لها ملك، ابن ملك، فإنها لن تأخذ زوجًا من رتبة أقل..."[١٧٥].

وعلى أية حال فقد أعاد هنري الأول ماتيلدا من أنجو إلى والدها، دون أن يُسلم مقاطعة ماين إلى فولك كونت أنجو، الأمر الذي دفع الأخير في سنة ١١٢٣م إلى إرسال رسله للملك مرة أخرى يطالب بـ" الأراضي والبلدات والقلاع التي أعطيت مهرًا لابنة ذلك الإيرل"، إلا أن الملك هنري الأول" لم يكن على استعداد للموافقة على ذلك"[١٧٦]، وقد عبرت الحولية الأنجلو سكسونية عن رفض الملك بقولها: " رحل رسل إيرل أنجو في عداء مع الملك، الذي كان متمسكًا بمصلحته"[١٧٧]، وبذلك تجدد العداء مرة أخرى بين هنري الأول وفولك كونت أنجو، الأمر الذي دفع فولك للرد على ممالطة هنري ورفضه، بأن زوج ابنته الأخرى سيبيلا Sibylla من ويليام كليتو، ومنحه مقاطعة ماين كمهر له، ووعده بمساعدته ضد الملك هنري الأول[١٧٨].

وبالتالي عادت الأحداث مرة أخرى إلى ما كانت عليه في سنة ١١١٧م، من تحالف فولك كونت أنجو والملك الفرنسي مع ويليام كليتو ضد الملك هنري الأول، فلجأ حينها الملك إلى بذل مساعٍ وجهود جديدة للرد على هذا التحالف، فأرسل قوات لنورماندي لحراسة تلك المنطقة[١٧٩]، وفي الوقت نفسه سعى لدى البابا لإقناعه بعدم شرعية زواج ويليام كليتو من شقيقة ماتليدا أرملة ابن عم ويليام كليتو، لدرجة القرابة بينهما، ونجح في ذلك، وكذلك حرض الملك هنري الأول زوج ابنته ماتيلدا الإمبراطور الألماني هنري الخامس Henry V (١١١١-١١٢٥م) بمهاجمة فرنسا من الشرق، ليشغلها عن نورماندي[١٨٠].

كما نتج عن غرق السفينة البيضاء، وفشل هنري الأول في إنجاب وريث ذكر من نسله، حدوث مشاكل عديدة وصراعات وخيمة حول وراثة العرش الإنجليزي؛ إذ أصبح ويليام كليتو ابن روبرت أخو هنري الأول هو الوريث الذكر الوحيد للمملكة، مما دفع عدد من النبلاء إلى تبني قضيته، " وكرسوا جميع نشاطاتهم لرفعه إلى السلطة"[١٨١]، إلى جانب تأييد لويس السادس ملك فرنسا وكذلك فولك كونت أنجو لويليام كليتو، وتزويجه من ابنته كما سبق القول، الأمر الذي كان يرفضه الملك هنري الأول، والذي صمم على أن يكون وراثة العرش من نسله، فسعى حينها بعد أكثر من ست سنوات من فشل إنجابه لوريث ذكر إلى جعل وراثة العرش في ابنته ماتيلدا، وهذا ما لم يكن شائعًا في ذلك الوقت، فلما توفى زوجها الإمبراطور الألماني هنري الخامس مؤخرًا دون

إنجاب وريث للعرش الألماني، فعادت إلى إنجلترا، سعى الملك هنري في عام ١١٢٧م إلى جعل رجال الدين والنبلاء في مملكته يقسموا اليمين لها، لتتولى العرش من بعده في حالة عدم إنجابه وريثًا ذكرًا، وسعى كذلك إلى تزويجها من جيوفري ابن فولك كونت أنجو Geoffroy of Anjou ، لإنجاب وريث ذكر من نسلها يحكم إنجلترا ونورماندي، وفي الوقت نفسه لتصفية العداء القديم بينه وبين فولك كونت أنجو؛ وليثنيه عن تقديم يد العون لويليام كليتو، الذي لم يلبث أن أصيب إصابة بالغة في سنة ١١٢٨م، مات على أثرها؛ فارتاح الملك هنري الأول من منافسته على العرش الإنجليزي(١٨٢).

وعلى الرغم من أن الملك هنري الأول استطاع أن يحصل من النبلاء على اليمين لابنته، إلا أنه بعد وفاته في سنة ١١٣٥م آل العرش إلى ستيفن كونت بلوا ابن أخته، الذي سارع إلى اغتصاب العرش من ماتيلدا؛ ودخلت حينها البلاد في حرب أهلية بين ستيفن ومؤيديه وماتيدا ومؤيديها استمرت سنوات طوال (١٨٣)، والتي انتهت بتولي العرش الإنجليزي لهنري الثاني Henry II (١١٥٤-١١٨٩م) ابن ماتيلدا، الذي ينحدر من جانب والدته من الملوك النورمان الذين حكموا إنجلترا، ومن جانب والده جيوفري من أنجو من أسرة أنجفين Angevins التي حكمت أنجو، وبذلك حكمت إنجلترا ونورماندي أسرة حاكمة جديدة(١٨٤).

هذا ولم تقتصر نتائج غرق السفينة البيضاء على وراثة العرش الإنجليزي فحسب، بل امتدت لتشمل وراثة مقاطعات عدة داخل إنجلترا ونورماندي؛ إذ" انتزعت كثير من الأراضي من ورثتها الشرعيين"(١٨٥)، الذين غرقوا في السفينة البيضاء، ولما لم يكن لهم ورثة ذكور شرعيون، الأمر الذي دفع الملك هنري الأول إلى تزويج زوجات أو بنات أو حفيدات هؤلاء النبلاء الذين غرقوا في السفينة البيضاء من نبلائه وفرسانه الأقل في المرتبة؛ ليحكموا هذه الأراضي والمقاطعات؛ وبذلك انتقل حكم هذه المقاطعات لسلالات جديدة، وفي الوقت نفسه حصل كثير من النبلاء على الترقية والمكافآت التي لم يكونوا يتوقعون أن يحصلوا عليها، أما مقاطعة تشيستر، فلما غرق إيرل ريتشارد، الابن الوحيد لوالده إيرل هيو، مع زوجته ماتيلدا، دون أن يكون لهم أبناء، انتقلت المقاطعة للوريث الأقرب رانولف لو ميشين ابن عمه(١٨٦).

ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب، فقد خسر الملك هنري الأول بوجه خاص وإنجلترا بوجه عام، خيرة نبلائه وفرسانه في السفينة البيضاء، الذين كانوا خير عون له في حروبه، وفي إدارة شئون مملكته، وقدموا خدمات جليلة لإنجلترا(١٨٧)، وبالتالي بفقدان هذه الشخصيات المحاربة القوية خسرت إنجلترا خسارة فادحة، كان من الصعب تعويضها.

هذا وقد أثرت الكارثة البحرية على ميناء بارفلور في أواخر عهد الملك هنري الأول، فقد قل دوره كميناء بحري للملوك الإنجليزي، إذ لم تذكر المصادر المعاصرة اتخاذ الملك هنري الأول الميناء للعبور من وإلى إنجلترا بعد هذه الكارثة، فمن البديهي أن هذه الفاجعة التي حدثت في هذا الميناء سببت له ذكرى أليمة من الصعب محوها بسهولة، وفي الوقت نفسه أصابه التشاؤم من هذا الميناء الذي تحطمت عليه جميع آماله وأحلامه؛ لذا اتخذ موانئ أخرى للهبوط من خلالها لنورماندي، وعلى الرغم من ذلك إلا أن دور ميناء بارفلور بعد عهد الملك هنري الأول لم يقل كميناء بحري للملوك الإنجليز؛ إذ اتخذه الملك هنري الثاني وابنه ريتشارد الأولRichard I (١١٨٩- ١١٩٩م) أكثر من مرة كنقطة انطلاق من نورماندي إلى إنجلترا والعكس(١٨٨)؛ ولعل ذلك لأن هؤلاء الملوك لم يكن يمثل لهم هذا الميناء ذكرى سيئة، بل بالعكس كان صاحب الفضل في وصولهم إلى الحكم، فلولا غرق السفينة البيضاء في هذا الميناء ربما لما وصلت سلالة إنجفين إلى حكم إنجلترا ونورماندي.

وأخيرًا، فقد شكلت أخبار كارثة السفينة البيضاء جزءًا من الأدب الإنجليزي؛ إذ كانت مادة دسمة وحافزًا قويًّا للشعراء المعاصرين لتنظيم أبيات شعرية عن تلك الحادثة، الأمر الذي أسهم في تداول أخبار تلك الكارثة بين مسامع الإنجليز والنورمان من مختلف الطبقات الاجتماعية؛ وذلك لكون تلك القصائد الشعرية أسهل وأسرع انتشارًا من الكتب التاريخية، وقد أورد بعض المؤرخين بعض الأبيات الشعرية التي نُظمت في ذلك الوقت، إذ نقل المؤرخ فيتاليس بعض الأشعار التي نظمها شاعر لم يذكر اسمه تقول:

حانت الساعة المميتة سفينة توماس المشؤومة

بتوجيــه سيئ صدمـت صـخـرة وتحطمـــت

ابـن الملـــك أصبــح طعامًـــا للأسمـــــاك

ماذا يمكن لحاشيتك الجيدة أو ثروتك أو مجدك

أو جمالك يا ويليام أن يفعلوا هناك لمساعدتك [١٨٩]

كذلك المؤرخ هنري هانتينغدون أورد في روايته بعض الأبيات منها:

كانوا يبحرون فوق البحر الجامـح في قارب ضعيف .... حطمـت الصخور المخفية قيعان القوارب. وهكذا تسلل البحر المنتصر عبر اللوح الخشبي الأخير .... وأغرق نسل الملك، وهلك شرف العالم"[١٩٠].

نتائج الدراسة:

- أوضحت الدراسة أن كارثة السفينة البيضاء من أكثر الكوارث البحرية التي تحدثت عنها المصادر المعاصرة بشيء من الإسهاب، بخلاف الكوارث البحرية الأخرى؛ وذلك لأنها تخص ابن الملك والعائلة المالكة، ولتبعاتها السياسية الوخيمة على إنجلترا، ولغرق جميع ركابها، وفي الوقت نفسه كونها جديدة عليهم، فلم تغرق سفينة ملكية من قبل بهذا الشكل غير المتوقع، فغالبًا ما كانت تغرق السفن بفعل العواصف أو في أثناء المعارك البحرية، وليس من جراء التحطم على صخرة معروفة ومرئية جيدًا للبحارة، وفي مناخ هادئ وطقس ملائم.
- أظهرت الدراسة مدى معرفة بحارة العصور الوسطى وقناعتهم بأهمية هبوب الرياح المواتية للإبحار، وانتظارهم في الموانئ عدة أيام، وقد تصل لشهور حتى تهب هذه الرياح المواتية، وعدم مجازفتهم بالإبحار في حالة هبوب رياح عكسية. وفي الوقت الذي اهتموا بذلك، أغفلوا بعض من إجراءات السلامة الكافية لجميع ركاب السفينة، فوجود قارب واحد فقط للنجاة، لدليل على قلة اهتمامهم أو عدم توقعهم بحدوث مثل هذه الكارثة.
- أثبتت الدراسة مدى استهتار طاقم السفينة البيضاء، وذلك بشربهم الخمر قبل ساعات من إبحارها، الأمر الذي أدى إلى هذه الكارثة المفجعة، وفي الوقت نفسه لا تحمل الدراسة الأمير ويليام أي مسئولية في حدوث هذه الكارثة؛ بمنحه البحارة لكميات من الخمر؛ لأنه لم يكن يدرك أنهم سيشربون كل هذه الكميات قبل إبحارهم، كذلك من البديهي أنه لن يتابع هؤلاء البحارة إذ كانوا يشربون الخمر أم لا، فهذا لم يكن دوره، بل كان دور قبطان السفينة الذي وقع في هذا الخطأ مع بحارته.
- وصفت الدراسة السفينة البيضاء، من حيث شكلها الخارجي، وحجمها الكبير، وسرعتها العالية.
- توصلت الدراسة إلى أن عدد ركاب السفينة البيضاء كان يتجاوز ثلاثمائة وخمسين شخصًا، سواء من طاقم السفينة أو الحرس الملكي أو النبلاء أو الخدم.

- حددت الدراسة تاريخ ٢٥ نوفمبر ١١٢٠م كتاريخ حدوث الكارثة البحرية، ودحضت بعض التواريخ الأخرى التي ذكرها المؤرخون.
- فندت الدراسة بعض الروايات غير المنطقية التي ذكرها المؤرخون المعاصرون، على سبيل المثال رواية ممارسة الركاب لرذيلة اللواط، وسبب مغادرة ستيفن كونت بلوا للسفينة قبل مغادرتها، وعودة الأمير ويليام بقارب النجاة لإنقاذ أخته ماتيلدا.
- دحضت الدراسة بعض الروايات التي ذكرها الباحثون المحدثون، مثل كون هذه الكارثة البحرية جريمة مدبرة بفعل فاعل، وصعود ماتيلدا من أنجو على متن سفينة أخرى في هذه الرحلة البحرية.
- بينت الدراسة أن الخوف من العقاب الملكي قد يدفع الشخص إلى الانتحار أو عدم الرغبة في الحياة، مثلما حدث مع قبطان السفينة الذي عندما علم بغرق ابن الملك، فقد كل رغبة في الحياة ومصارعة الموت، فترك نفسه لأمواج البحر تبتلعه، وبالتالي لم يعاقب الملك هنري الأول أحد على هذه الكارثة البحرية؛ لكون جميع المسئولين عنها غرقوا فيها.
- أثبتت الدراسة مدى خطورة الأفعال المستهترة والأخطاء السخيفة التي يجب ألا يستهان بها، فخطأ بسيط قد ينتج عنه كارثة وخيمة، وأن خطأ فئات دنيا قد تضيع جهود شخصيات عليا، فالملك هنري الأول أضحت جهوده العظيمة هباءً منثورًا بفعل بحارة مستهترين وغير مسئولين بالمرة.
- أوضحت الدراسة النتائج التي ترتبت على غرق السفينة البيضاء على إنجلترا ونورماندي على المدي القريب والبعيد، سواء على وراثة العرش الإنجليزي، أو وراثة المقاطعات في إنجلترا ونورماندي بعد غرق ورثتها الشرعيين، أو على العلاقات السياسية بين إنجلترا وأنجو وفرنسا.
- بينت الدراسة مدى التأثير السلبي لغرق السفينة البيضاء على ميناء بارفلور خلال عهد الملك هنري الأول؛ إذ فقد الميناء مكانته تدريجيًّا كميناء ملكي؛ إذ اتخذ الملك هنري الأول موانٍ أخرى للهبوط أو الإقلاع غير ميناء بارفلور الذي يمثل ذكرى أليمة له، في حين عاد الميناء

لدوره في عهد الملوك اللاحقين الذي مثل غرق السفينة بالقرب من الميناء سببًا في وصولهم للعرش.

- أثبتت كارثة السفينة البيضاء مدى قوة شخصية الملك هنري الأول، الذي استطاع في غضون شهور قليلة من الكارثة تجاوز أحزانه والوقوف على قدميه من جديد، والبحث عن وريث شرعي للعرش من نسله، فتزوج مرة أخرى من أجل إنجاب وريث ذكر، وعاد مرة أخرى لمحاربة خصومه وأعدائه الذين استغلوا فرصة غرق وريثه الشرعي، فتغلب عليهم، مستخدمًا قوته العسكرية ومواهبه الدبلوماسية، حتى توصل في النهاية إلى جعل النبلاء يقسمون بالولاء لابنته ماتيلدا.
- منحت كارثة غرق ويليام الأثلينج في السفينة البيضاء لماتيلدا فرصة ذهبية غير متوقعة بالمرة ليكون لها الأحقية في العرش الإنجليزي، وهذا ما لم يكن شائعًا في ذلك الوقت، أن يرث العرش الإنجليزي امرأة، كذلك لو لم يتوفى ويليام لكان العرش انتقل له ولأبنائه، ولم يكن يصل مطلقًا لابن ماتيلدا، وفي الوقت نفسه كان غرق ويليام في صالح ستيفن كونت بلوا، حيث أعطاه الفرصة للسيطرة على العرش.
- وعلى الرغم من أن غرق ويليام الأثلينج في السفينة البيضاء قلب الموازين رأسًا على عقب، ونتج عنه مشكلة في وراثة العرش الإنجليزي وسنوات الفوضى، إلا أنه حتى لو لم يغرق في السفينة البيضاء، فربما حدث كل تلك النتائج أيضًا بشكل أو بآخر، فمن الممكن أن يصل إلى إنجلترا سالمًا، ولكنه يموت من جراء مرض ما، أو سقوط من على ظهر حصان، أو لا يتمكن من إنجاب أبناء، وبالتالي تظل مشكلة خلافة العرش قائمة، وتحدث سنوات الفوضى أيضًا.

الهوامش

(١) هناك دراسة أجنبية حديثة تحمل عنوان" السفينة البيضاء الفتح الفوضى وضياع حلم هنري الأول"، ومما يؤسفني عدم تمكنني من الوصول إليها، سوى معرفة فهرس الكتاب الذي ضم ثلاثة فصول: الفصل الأول عن فترة حكم الملك هنري الأول وحروبه مع الملك الفرنسي، ثم تناول في الفصل الثاني الكارثة البحرية وما فعله هنري الأول بعدها، في حين كان الفصل الثالث عن فترة الفوضى التي أعقبت وفاة الملك هنري الأول.

Charles Spencer, The White ship, conquest, Anarchy and The Wrecking of Henry I's Dream, William Collins, Great Britain, 2020.

(٢) ماتيلدا الاسكتلندية هي إديث Edith ابنة الملك الاسكتلندي مالكولم الثالث Malcolm III ، وملكته الإنجليزية مارجريتMargaret ، قضت ماتيلدا معظم حياتها المبكرة في دير إنجليزي، وارتدت زي الراهبات، وكانت تبلغ من العمر عشرين عامًا عندما تزوجها هنري الأول، من أجل تعزيز سلطته في إنجلترا، ولم يعقد أنسيلم Anselmرئيس أساقفة كانتبري الزواج والتتويج كملكة، إلا بعدما تأكد من أنها ليست راهبة هاربة، وذلك بعدما أنكرت هي بنفسها ترهبنها، وذكرت أنها أجبرت على ارتداء الحجاب في الدير. انظر:

Richard Huscroft, Tales From the Long Twelfth Century: The Rise and Fall of the Angevin Empire, Yale University Press, New Haven, 2016, pp.8-9.

(3)Robert of Torigni, The Gesta Normannorum Ducum of William of Jumieges, Orderic Vitalis, and Robert of Torigni, 2vols., Trans. Elisabeth Van Houts, Oxford University Press, Oxford, 1995, vol.2, p.86; Ordericus Vitalis, The Ecclesiastical History of England and Normandy, 4vols., trans. Thomas Forester, London, 1854, vol.3,p.13 ; Wace, The History of The Norman People, Wace's Roman De Rou, trans. Glyn Burgess, The Boydell Press, Woodbridge, 2004, p. 205.

Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire, p.9.

- ماتيلدا ابنة الملك هنري الأول، ولدت في فبراير ١١٠٢م، زوجها الملك من الإمبراطور الألماني هنري الخامسHenry V (١١١١-١١٢٥م)، الذي كان يبلغ من العمر أربعة وعشرين عامًا، في حين كانت ماتيلدا تبلغ من العمر ثمانية أعوام فقط، وفي عام ١١٢٥م مات هنري الخامس من جراء مرض خبيث، دون أن تنجب ماتيلدا منه أبناء، لذا لم يكن لها الحق في وراثة العرش الألماني، فعادت إلى والداها في إنجلترا. للمزيد انظر:

محمد فرحات: "الإمبراطورة ماتيلدا ودورها السياسي في الغرب الأوربي في القرن الثاني عشر الميلادي(١١١٠-١١٦٧م)، في تاريخ إنجلترا العصور الوسطى، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١٣، (ص٣٩-٦٤)، ص٤٠ وما بعدها.

(4)Robert of Torigni, Gesta Normannorum Ducum, vol.2, p.249.

Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire, p.10.

(٥) أوصى الملك ويليام الفاتح بتقسيم مملكته ما بين ابنه الأكبر روبرت الذي منحه مقاطعة نورماندي وابنه الثاني ويليام روفوس الذي منحه إنجلترا، أما هنري فعوضه بمبلغ خمسمائة من الفضة، إلا أن الصراع بين الأخوة الثلاثة زادت حدته بعد وفاة والدهم، حيث نجح هنري في شراء حق أخيه روبرت في دوقية نورماندي، إلا أنه لم يلبث أن ساند الملك ويليام روفوس أخيه روبرت في محاربة هنري واستعادة الدوقية، وتقسيمها معًا، وفي عام ١٠٩١م نقض ويليام ما اتفق عليه مع أخيه روبرت، وتجدد العداء بينهما مرة ثانية، وفي تلك الأثناء دخل طرف خارجي في صراع الأخوة متمثل في ملك فرنسا فيليب الأول الذي ساند روبرت، وبعد مضي سنوات قليلة نجح ويليام في هزيمة روبرت، الذي غادر نورماندي إلى الشرق لمحاربة المسلمين، وبمجرد وفاة الملك ويليام روفوس في ظل غياب الأخ الأكبر روبرت، انتهز الفرصة هنري للسيطرة على العرش الإنجليزي، وبعدها استمر عداءه مع أخيه روبرت. للمزيد انظر:

أسامة إبراهيم حسيب: إنجلترا تحت حكم النورمان (١٠٦٦-١١٥٤م)،ط١، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٦١-٧٥.

(٦) كان لقب الأثلينج يُطلق على الشخص نبيل الولادة في إنجلترا بعد الغزو النورماني لها في عام ١٠٦٦م ، وعادة ما كان يطلق على أحد أفراد الأسرة الحاكمة المؤهل للحكم، والكلمة مشتقة من الإنجليزية القديمة، ethling تعني الأسرة النبيلة، و ing بمعنى الانتماء لها، وغالبًا ما يتم تهجئتها كـ "aethling" أو "atheling" أو "etheling. انظر:

Kenneth J. Panton, Historical Dictionary of the British Monarchy, Scarecrow Press, United Kingdom, 2011, p.25.

(7)Henry of Huntingdon, History of the English People 1000-1159, trans. Diana Greenway, Oxford University Press, Oxford, 2002, p.53;Simeon of Durham, The History of the Kings of England, The Historical Works of Simeon of Durham, trans. Joseph Stevenson, 1855, p.601.

Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire, p.20.

(8)Ordericus Vitalis,The Ecclesiastical History of England and Normandy, 1856,vol.4, p.38; The Warenne(Hyde) Chronicle, trans. Elisabeth M. C. van Houts and Rosalind C. Love, Oxford University Press, Oxford, 2013,p.81.

(9)Warren Hollister, Henry I, Yale University Press, London, 2001,p.275 ; Richard Huscroft, Angevin Empire, p.18.

(10)Hugh the Chanter, The History of the Church of York 1066-1127, trans. Charle Johnson, Clarendon Press, Oxford,1990,p.165 .

Cf. also, Warren Hollister, Henry I, p.275 .

(11) Warenne Chronicle, p.81.

(١٢) ويليام كليتو هو ابن روبرت الابن الأكبر لويليام الفاتح، ولد في عام ١١٠٢م، ونافس هنري الأول في حكم دوقية نورماندي، وحاول هنري الأول عام ١١١١م القبض عليه، ولكنه هرب إلى فرنسا، وفي عام ١١١٣م استقبل بترحاب في فلاندرز، ومنح لقب فارس، وحينها حصل على التأييد والمساندة من فرنسا وفلاندرز وأنجو، وبعد اغتيال كونت فلاندرز تشارلز الجيد Charles (١١١٩- ١١٢٧م)، الذي لم يكن له ورثة، أصبح ويليام كليتو من المنافسين على العرش؛ لكون جدته ماتيلدا زوجة ويليام الفاتح ابنة بلدوين الخامسBaldwin V كونت فلاندرز (١٠٣٥- ١٠٦٧م)، الأمر الذي دفع ملك فرنسا إلى الاعتراف به كونتًا على فلاندرز، ومات من جراء الإصابة التي تعرض لها في أثناء إحدى المعارك العسكرية مع مدعي للعرش في فلاندرز في عام ١١٢٨م. انظر:

William M. Aird, Robert `Curthose', Duke of Normandy 1050-1134, The Boydell Press, Woodbridge, 2008, p.252-256; Eljas Oksanen, Flanders and the Anglo-Norman World, 1066–1216, Cambridge University Press, New York, 2012, pp.25-6.

(13)Suger Abbot of Saint Deins, The Deeds of Louis the Fat , trans. Richard Cusimano and John Moorhead, the Catholic University of America Press, America,1992, pp. 112, 116.

- كانت أنجو في البداية مجرد مقاطعة إدارية صغيرة، إلى أن توسعت طوال القرن الحادي عشر لتصبح إحدى الإمارات الرئيسية في فرنسا؛ إذ استطاع حكامها الأقوياء أن يسيطروا على الكثير من غرب فرنسا بشكل مستقل عن ملك فرنسا، للمزيد انظر:

William W. Kibler and Others, Medieval France: An Encyclopedia, Garland Publishing Inc., New York, 1995, pp. 77-80.

- مقاطعة فلاندرز: كانت تمتد على طول ساحل بحر الشمال من بروجBruges إلى نهر يسيرYser ، ويحدها من الجنوب نورماندي، وقد أصبح لفلاندرز قوة سياسية واقتصادية مع القرن العاشر الميلادي، وكان كونتات فلاندرز يسيطروا على فلاندرز الغربية والجنوبية كإقطاعية تابعة للتاج الفرنسي، بينما كانت الأراضي الواقعة في الشرق منها ملك للإمبراطورية الرومانية المقدسة، حتى استطاع الكونت بلدوين الأولBaudouin I (ت.٨٧٩م)التوسع وضم أراضي جديدة لحكمه. للمزيد انظر:

William W. Kibler and Others, Medieval France, pp.665-670.

([14])Henry of Huntingdon, English People,p.54; Warenne, Chronicle, p.81.

([15])Simeon of Durham, History Kings, p.601;Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History,vol.3, p.474,vol.4, p.59; Warenne Chronicle , p.81; The Anglo-Saxon Chronicle Illustrated and Annotated,ed.Bob Carruthers, 2nd,Pen and Sword Military, Barnsley, 2013, p.289.

Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire, pp.6,18; Richard Huscroft, Ruling England 1042-1217, 2nd, Routeldge, New York, 2016,p.66; Catherine Hanley, Matilda Empress Queen Warrior, Yale University Press, New Haven, 2019,p.41; Sharon Bennett Connolly, Rise and Fall of the Warenne Earls of Surrey, Pen and Sword History, Great Britain, 2021, p.48.

([16]) Richard Huscroft, Angevin Empire, p.18.

- كانت ماين تقع ما بين دوقية نورماندي في الشمال ومقاطعة أنجو في الجنوب، وفي القرن الحادي عشر الميلادي أصبحت ماين موضع نزاع بين قوتين مهيمنتين: أنجو ونورماندي للسيطرة عليها، وفي عام ١١١٠م استولى فولك الخامس كونت أنجو على ماين، بعدما مات والد زوجته إلياس الأول Elias I كونت أنجو، مما أدى إلى تغيير كبير في ميزان القوى في شمال فرنسا، للمزيد انظر:

William M. Aird, Robert `Curthose', p.42-5. Richard Huscroft, Angevin Empire, p.15.

([17])Suger Abbot of Saint Deins, Deeds of Louis the Fat, p. 116.

([18]) Warenne Chronicle,p.85.

Cf. also, Eljas Oksanen, Flanders and the Anglo-Norman, p.25.

([19])Henry of Huntingdon, English People, pp.54-5;The Chronicle of St. Evroult, in The Ecclesiastical History of England and Normandy, 4vols., trans. Thomas Forester, London, 1856, vol.4, (pp.229- 268), p.253;The Anglo-Saxon Chronicle, p.289.

Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire, pp.18-9; Sharon Bennett Connolly, Warenne Earls, p.48.

([20]) Warenne Chronicle, p.81.

Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire,p.6.

([21]) Warenne Chronicle, p.85.

([22])Wace, Norman People, p.104.

- انظر خريطة خط سير السفينة البيضاء المفترض في نهاية البحث.

([23])William of Jumieges, Gesta Normannorum of William of Jumieges, Orderic Vitalis, and Robert of Torigni, 2vols., Trans. Elisabeth Van Houts, Oxford University Press, Oxford, 1995, vol.2, p.13; Wace, Norman People, p. 104.

Cf. also, Abbé Bellot et Louis Drouet, Note Historique sur la ville de Barfleur, in Mémoires de la Société Nationale académique de Cherbourg, Cherbourg, 1894-1895,(pp.273-332), p.277.

([24])Wace, Norman People, p. 142.

Cf. also, Abbé Bellot et Louis Drouet, Historique sur la ville de Barfleur, p.278.

([25])Wace, Norman People, p. 204

([26]) Richard Huscroft, Angevin Empire, p.4.

([27])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4,p.33.

([28])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4,pp.33-4.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ترجمة سهيل زكار، دمشق، ٢٠٠٨، ص٤٢٧.

Richard Huscroft, Angevin Empire, p.3 ;Warren Hollister, Henry I, p.276.

([29])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4, p.35.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص٤٢٧.

([30])William of Poitiers, The Gesta Guillelmi of William of Poitiers, trans. R.H.Davist and Marjorie Chibnall, Clarendon Press, Oxford, 1998, p.113.

([31])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4, p.33.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص٤٢٧.

([32])William of Malmesbury, The History of the Kings of England and the Modern History, trans. John Sharpe, London, 1815, p. 518.

([33])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, p.34.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٨.

Cf. also, Brett Jones, 'The White Ship Disaster', in The Historian, vol.46 , 1999, (pp.23-6), p.23.

([34])William of Malmesbury,History Kings , pp.518-19; Henrici Knighton, Chronicon Henrici Knighton vel Cnitthon, Monachi Leygestrensis, 2vols., ed. Joseph R. Lumby, London, 1889, vol. 1,p.124.

([35])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4,p.33.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص٤٢٧.

([36])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4,p.34.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص٤٢٨.

Cf. also, Brett Jones, White Ship Disaster,p.23.

([37])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4, p.35.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص٤٢٨.

([38])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4,p.34.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص٤٢٨.

([39])Wace, Norman People, p. 206.

([40])William of Malmesbury, History Kings , p. 518.

([41]) ذكرت المصادر عدة حالات انتظر فيها البحارة هبوب الرياح المواتية، فعلى سبيل المثال وليس الحصر، عندما أمر الملك إثيلريد أسطوله بعبور القناة إلى بارفلور في عام ٩٩٦م، لم يصعد البحارة على سفنهم إلا " بمجرد أن هبت عليهم رياح مواتية، سرعان ما صعدوا إلى سفنهم"، على حد قول المؤرخ واس. كذلك أيضًا روبرت الأول دوق نورماندي Robert I (١٠٢٧-١٠٣٥م)عندما أرسل أسطوله من نورماندي لإنجلترا لمساعدة إدوارد المعترف عام ١٠٣٣م، هبت رياح عكسية، دفعت سفنه إلى الجنوب باتجاه إحدى الجزر، بدلًا من التوجه لإنجلترا، الأمر الذي دفع تلك السفن إلى الانتظار مطولًا هناك حتى تهب رياح جنوبية، وعندما لم يحدث ذلك اضطرت السفن إلى العودة مرة أخرى إلى قواعدها في نورماندي، كذلك الملك ويليام الفاتح في أثناء الغزو النورماندي لإنجلترا انتظر قرابة الشهر قبل أن يعبر القناة، في انتظار قدوم رياح مواتية تساعده على الإبحار، " حيث انتظروا طويلًا رياح جنوبية لنقلهم"، ويُضاف إلى ذلك الملك ويليام الثاني روفوس عندما أراد عبور القناة، والتوجه إلى ميناء بارفلور، اعترض البحارة على ذلك لعدم هبوب رياح جنوبية تساعدهم، قائلين:" يا مولاي ارحمنا بسم الله! ليس لدينا نسيم لطيف. ليس لدينا رياح مواتية، من الخطورة أن تبحر عكس الرياح، البحر قاس ونخاف من الطقس، لا نجرؤ على الإبحار". للمزيد انظر:

William of Jumieges, Gesta Normannorum, vol.2, p.79; William of Poitiers, Gesta Guillelmi, p.103,109; Wace, Norman People, p. 104, 202.

([42]) Regesta Regum Anglo-Normannorum 1066-1154, ed. Charies Johnson and Others, The Clarendon Press, Oxford, 1956, vol.2 , no.1233, p.151.

- يقع دير القديس فيجور في كيرسيCerisy في دوقية نورماندي، أسسه الدوق روبرت الأول بين عامي ١٠٣٠-١٠٣٢م. للمزيد انظر:

Samantha Kahn Herrick, Imagining the Sacred Past: Hagiography and Power in Early Normandy, Harvard University Press, Cambridge, 2007, p.38.

- كان ريتشارد إيرل تشيستر الابن الوحيد لإيرل هيوHugh Earl of Chester (١٠٧١–١١٠١م)، تزوج من ماتيلدا ابنة أخت الملك هنري الأول، قال عنه هنري هانتيغدون:" نشأ في أعظم روعة على أمل أن يكون وريثًا متميزًا لوالده، لا يزال شابًا بلا لحية" عندما مات في غرق السفينة في عام ١١٢٠م. انظر:

Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4, p.40; Henry of Huntingdon,English People,p.101.

- إيرل تشيستر هو لقب حكام مقاطعة تشياشير Cheshire، التي تقع في شمال غرب إنجلترا، تم إنشاء مقاطعة شيشاير من قبل الملك ويليام الأول في عام ١٠٧١ كمقاطعة عازلة شمالية ضد تمردات مرسيان Mercian. في عام ١٢٣٧ أرفقت بالتاج. انظر:

Paul E. Szarmach and Others, Medieval England : An Encyclopedia, Routledge, New York, 1998, p.576.

([43])William of Malmesbury,History Kings, p.517.

Cf. also, Warren Hollister, Henry I, p.276.

([44])Jean Froissart, Les Chroniques de Jean Froissart, in Collection Des Chroniques Nationales Francaises, ed. J.A.Buchon, Paris, 1825, tome 10, p.270,n.1, 271.

([45])Eadmeri, Historia Novorum in Anglia: Et opuscula duo de vita Sancti Anselmi et quibusdam miraculis ejus, ed. Martin Rule, London, 1884, p.288; Warenne Chronicle, p.87; John of Worcester, The Chronicle of John of Worcester, The Annals from 1067 to 1140, 3vols., ed. P. Mcgurk, Clarendon Press, Oxford, 1998, vol.3, p. 147; Henry of Huntingdon, English People, pp.56,101; Wace, Norman People, p. 206.

([46])Simeon of Durham, History Kings, p.601; Hugh the Chanter, History of the Church of York, p.165; John of Worcester, Chronicle,p.147; Warenne Chronicle, p.81; Henry of Huntingdon, English People, pp.55-6; Anglo-Saxon Chronicle, p.291; Chronicle of St. Evroult, p.253;Annales Cambriae, ed. John Williams, London, 1860, p.37; Guillaume de Nangis, Chronique Latine de Guillaume de Nangis de 113 a 1300 avec Les Continuations de cette Chronique de 1300 a 1368, 2vols., ed . Par H. Geraud, Paris, 1843, vol. 1, p.11.

روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، في الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية٤٠ج، ترجمة سهيل زكار، دمشق، ٢٠٠٠، ج٣٩، ص١٣٢.

- انظر جدول مختصر بكارثة غرق السفينة البيضاء في الملحق في آخر البحث.

([47])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4, pp.32-3.

([48])Simeon of Durham, History Kings, p.601; John of Worcester, Chronicle, p.145; Anglo-Saxon Chronicle, p.289.

([49])Chronique de l'Abbaye de S.-Pierre à Gand, ed. R.Vande Putte, Gandavi, 1842,pp.13-14.

([50])Hugh the Chanter, History of the Church of York, p.165; John of Worcester, Chronicle, p.147; Henry of Huntingdon, English People,pp.55-6; Anglo-Saxon Chronicle, p.291; Annales Cambriae, p.37; Guillaume de Nangis , Chronique, p.11.

روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، ص١٣٢.

([51])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4, p.33.

([52])William of Malmesbury, History Kings, p.518.
([53])Robert de Monte(Torigni), The Chronicles of Robert de Monte, trans. Joseph Stevenson, Llanerch Publishers, 1856, p.33.
([54])Mathieu Paris, Grande Chronique de Matthieu Paris, 9vols.,trans. A.Huillaed-Breholles, Paulin Libraire-Editeur, Paris, 1840, vol.1,p.228; Matthaei Parisiensis, Historia Anglorum Sive, Ut vulgo Historia Minor, ed. Frederic Madden, 3 vols.,London 1866, vol.1 1067-1189, p.230.
([55])Simeon of Durham, History Kings, p.601.
([56])Roger de Hoveden, The Annals of Roger de Hoveden, Comprising The History of England and of Other countries of Europe from A.D. 732 to 1201, 2 vols. ,trans. Henry T. Riley, London, 1853, vol.1 A.D. 732-1180, p.214.
([57]) Warenne Chronicle, pp.liii,81.
([58])Henrici Knighton, Chronicon,p.124.
([59]) Regesta Regum Anglo-Normannorum, no.1233, p.151.
([٦٠]) ف. ديستنفلد: جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمة عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ٥١.
([61])William of Malmesbury, History Kings , p. 519.
([62])John of Worcester, Chronicle, p.147.
([63])Simeon of Durham, History Kings , p.602; Roger de Hoveden, Annals, p.214.
([64])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4,p.34.
أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٨.
Brett Jones, White Ship Disaster, p.23; Warren Hollister, Henry I, p.277; Charlotte Mary Yonge, Cameos from English History from Rollo to Edward II, Salzwasser-Verlag Gmbh, Germany, 2020,p.148.
([65])Simeon of Durham, History Kings ,p.602; Roger de Hoveden, Annals, p.214.
([66]) Chronique de l'Abbaye de S.-Pierre, p. 14; Henrici Knighton, Chronicon,p.124.
([67])The Anglo-Saxon Chronicle, p.291; Mathieu Paris, Grande Chronique,vol.1,p.228; Matthaei Parisiensis, Historia Anglorum, p.230
روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، ص١٣٢.
([68])William of Malmesbury, History Kings, p. 518; Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History,vol.4,p.38.
أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣١.
([69])Simeon of Durham, History Kings, p.601; John of Worcester, Chronicle, p.149;William of Malmesbury, History Kings, p. 519; Henry of Huntingdon, English People, p.101; Robert of Torigni, Gesta Normannorum, pp.249,251; Roger de Hoveden, Annals, p.214; Henrici Knighton, Chronicon,p.124.
Cf. also, Charlotte Mary Yonge, Cameos from English ,p.148;
- كانت مقاطعة بيرش يحدها من الشمال دوقية نورماندي وMarche d'Alençon ، ومن الشرق مقاطعة شارتر، ومن الجنوب بيرش جويت ومن الغرب ماين، وقد حكمها عائلة روترو في القرن الحادي عشر الميلادي، والتي استطاعت أن توسع من أراضيها، للمزيد عن بيرش انظر:
Kathleen Hapgood Thompson, The Counts of the Perche c. 1066-1217,Thesis the degree of Doctor, University of Sheffield, 1995, p. 2 ff.
([70])William of Malmesbury, History Kings, p. 519; Henry of Huntingdon, English People, p.101.

([71])William of Malmesbury, History Kings, p. 518; Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History,vol.4,p.40; Robert of Torigni, Gesta Normannorum, p.277.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٣.

Warren Hollister, Henry I,p.277; Kathleen Hapgood Thompson, Counts of the Perche, p. 19.

- خلف روترو والده جيفري الثاني Geoffrey II (١٠٨٠ -١٠٩٩م) في حكم بيرش، شارك في الحملة الصليبية الأولى، وفي محاربة المسلمين في أسبانيا، وبزواجه من ماتيلدا ابنة الملك هنري الأول، زود الملك من ثروة عائلة روترو في إنجلترا كمهر لابنته، وبعد غرق ماتيلدا لم يتسرع روترو في الزواج مرة أخرى، إلا بعد عدة سنوات، للمزيد انظر:

Kathleen Hapgood Thompson, Counts of the Perche, p. 19-24.

([72])Simeon of Durham, History Kings, p.601; William of Malmesbury, History Kings, p. 519; Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History,vol.4,p.40; Robert of Torigni, Gesta Normannorum,p.251.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٣.

- ثيوبالد كونت بلوا هو ابن "أديلا"Adela أخت الملك هنري الأول، وقف إلى جانب ملك إنجلترا ضد ملك فرنسا، وحمل السلاح ضد سيده الفرنسي، فأرسل هنري الأول قواته لمساعدته، للمزيد انظر:

Henry of Huntingdon,English People, p.53.

- ستيفن كونت بلوا: هو ابن أديلا أخت الملك هنري الأول، وشقيق كل من ثيوبالد كونت بلوا وماتيدا، تولى عرش إنجلترا بعد وفاة الملك هنري الأول سنة ١١٣٥م، منتهزًا فرضة غياب ماتيلدا ابنة الملك هنري في أنجو، وانهماك كبار النبلاء في دفن الملك، ودخل طوال حكمه في نزاع مع ماتيلدا على العرش، ومات ابنه الشرعي ايوستاس قبل وفاته بوقت قصير في عام١١٥٣م، الأمر الذي دفعه إلى الاعتراف بهنري ابن ماتيلدا ملكًا على إنجلترا بعد وفاته، التي حدثت في ١١٥٤م. للمزيد انظر:

محمد فرحات: ماتيلدا، ص ٤٩-٦١.

([73])Warren Hollister, Henry I, p.277; Richard Huscroft, Angevin Empire, p.21; Charlotte Mary Yonge, Cameos from English ,p.148; Sharon Bennett Connolly, Warenne Earls, p.48.

([74])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, pp. 59-60; Wace, Norman People, p. 207; William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea,2vols., trans. Emily Atwater Babcoc and A.Krey, Columbia University Press, New York, 1943, vol.2, p.50.

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ٣ج، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤، ج٣، ص ٩٢.

([75])Wace, Norman People, p. 206.

([76])Richard Huscroft, Angevin Empire, p. 18.

([77])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4,p.41.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٤.

([78])Simeon of Durham, History Kings, p.602; Pierre de Langtoft, The Chronicle of Pierre de Langtoft, From The Earliest Period to the death of King Edward I, 2 vols., ed. Thomas Wright, London, 1866, vol. 1, p.465.

- خلف ويليام ابن روجر بيغود والده في منصب حاكم مدينة فرامليجهام Framlingham ، في مقاطعة سوفولك Suffolk في شرق إنجلترا في عام ١١٠٧م، وكان مع الملك هنري الأول في روان عام ١١١٣، وفي عام ١١١٦م أصبح عمدة سوفولك، ومات في غرق السفينة قبل أن يتزوج، فخلفه على الحكم هيو أخيه القاصر غير الشقيق، للمزيد انظر:

K. S. B. Keats-Rohan, Domesday Descendants: A Prosopography of Persons Occurring in English Documents 1066-1166, The Boydell Press, Woodbridge, 2002, p.175.

([79])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4, pp.38, 41.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣١، ٤٣٣.

Warren Hollister, Henry I, p.277.

- رافق رالف الأحمر جيش بوهيمند النورماني في الحملة الصليبية الأولى، وقدم خدمات جليلة للملك هنري الأول في حروبه ضد الفرنسيين، وأنقذ ابنه ريتشارد من الأسر، فكان من المتوقع أنه سيحصل على المكافأة بمجرد عودته إلى إنجلترا. للمزيد انظر:

Paul Hill, The Norman Commanders: Masters of Warfare 911-1135, Pen and Sword Military, Great Britain, 2015, p.98; Warren Hollister, Henry I, p.260.

([٨٠]) ساهم هيو بشكل كبير في الغزو النورماني لإنجلترا ١٠٦٦ م ، وكان من أكثر مؤيدي هنري الأول إخلاصًا قبل عام ١١٠٠، وأصبح أحد المستشارين الأربعة للملك بعد توليه العرش، للمزيد انظر:

Ruth Margaret Blakely, The Brus Family in England and Scotland, 1100-1295, The Boydell Press, Woodbridge, 2005, p.13.

([81])Simeon of Durham, History Kings, p.601; John of Worcester, Chronicle,p.149; William of Malmesbury, History Kings, p. 519; Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, vol.4,p.40; Henry of Huntingdon,English People, p.101; The Anglo-Saxon Chronicle, p.291; Roger de Hoveden, Annals,p.214.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص٤٣٣.

Brett Jones, White Ship Disaster,p.26; Warren Hollister, Henry I, p.277.

([82])John of Worcester, Chronicle,p.149. Henrici Knighton, Chronicon,p.124.

([83])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4,p.36.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٠.

([84])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4,p.35; Wace, Norman People, p. 206.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٩.

انظر أيضًا: أسامة إبراهيم حسيب: إنجلترا، ص٧٨.

- تجدر الإشارة إلى أن المؤرخ جون أوف وريسيستر لم يذكر اسم الجزار بيرولد ، وأشار إليه على أنه" لا يستحق أن يُسمى، ولكنه نجى برحمة الله الرائعة..."، وفي ذلك عنصرية وطبقية شديدة من المؤرخ تجاه من هم أقل منهم في المكانة. انظر:

John of Worcester, Chronicle, p.147.

- تقع روان في شمال غرب فرنسا، وكانت عاصمة مقاطعة نورماندي في القرن العاشر الميلادي، حتى ضمها التاج الفرنسي لسلطاته في القرن الثالث عشر الميلادي، للمزيد انظر:

Reid D., "Patrons of Poetry: Rouen's Confraternity of the Immaculate Conception of Our Lady ", in The Reach of the Republic of Letters Literary and Learned Societies in Late Medieval and Early Modern Europe, ed. A. Dixhoorn and S. Sutch, 2 vols., Brill, Leiden , 2008, vol. 1, p.38.

([85])Wace, Norman People, p. 206.

([86])Ordericus Vitalis, Ecclesiastical History, vol.4, p.34.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٨.

Warren Hollister, Henry I, p.277; Charlotte Mary Yonge, Cameos from English , p.148.

([87])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.34.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٨.

([88])William of Malmesbury, History Kings, p.518.

([89])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.35;William of Malmesbury, History Kings, p.518.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٨.

([90])Simeon of Durham, History Kings ,p.601.

([91])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, pp.34,42.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٨، ٤٣٤.

Warren Hollister, Henry I, p.277.

([92])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, pp.34-5.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص٤٢٨.

Richard Huscroft, Angevin Empire,p.4.

([93])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, pp.34,42.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٨، ٤٣٤.

Warren Hollister, Henry I, p.277.

- ويليام دي رومار أحد المشاركين في صفوف الملك هنري الأول في معركة بريمول سنة١١١٩م، وابن زوجة رانولف ابن عم ريتشارد إيرل تشيستر.
- رابل الحارس هو ابن ويليام دي تانكرفيل وماتيلدا دراكيسMatilda d'Arque**s** ، شارك والده في معركة بريمول سنة ١١١٩م.

Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, vol.4, p.34, n.2.

- إدوارد من سالزبوري امتلك ممتلكات كبيرة في سالزبوري والمناطق المجاورة، زوج ابنته ماتيلدا بأوامر من الملك ويليام روفوس من هومفراي دي بوهونHumphrey de Bohun ، وكان لها جزء من ممتلكات والدها، أما الباقي فقد ورثه ابنه والتر من سالزبوري. انظر:

Ordericus Vitalis, ecclesiastical history,vol.3, p.482, n.2.

([94])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, vol.4,p.42.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٤.

Warren Hollister, Henry I, p.277; Richard Huscroft, Angevin Empire,p.4.

([95])William of Malmesbury, History Kings, p.518.

([96])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.33.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٧.

Cf. also, Brett Jones, White Ship Disaster, p.24.

([97])William of Malmesbury, History Kings, p.518.

([98])Simeon of Durham, History Kings ,p.601.

([99])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.35.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٨-٢٩.

Cf. also, Charlotte Mary Yonge, Cameos from English , p.148.

([100])Simeon of Durham, History Kings, p.601;Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.35.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٨-٢٩.

Richard Huscroft, Angevin Empire, p.4; Warren Hollister, Henry I, p.277.

انظر أيضًا: أسامة إبراهيم حسيب: إنجلترا، ص٧٨.

([101])Simeon of Durham, History Kings ,p.601.

([102])William of Malmesbury, History Kings , p.518.

([103])Wace, Norman People, p. 206.

([104])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.35.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٩.

([105]) Roger de Hoveden, Annals, p.214,n.3; Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.35,n.1.

Cf. also, Susan Rose, England's Medieval Navy 1066-1509: Ships, Men & Warfare, Seaforth Publishing, Barnsley, 2013, p. 35.

([106]) Robert of Torigni, Gesta Normannorum, p. 219.

Cf. also, Charlotte Mary Yonge, Cameos from English , p.148.

([107])Simeon of Durham, History Kings, p.601.

([108])Eadmeri, historia novorum, p.289;Robert of Torigni, Gesta Normannorum , p. 219 ; John of Worcester, Chronicle, p.147.

([109])Simeon of Durham, History Kings, p.601;William of Malmesbury, History Kings , p.518; Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.35; Henry of Huntingdon,English People, pp.56,101;Wace, Norman People, p.206; Robert of Torigni, Gesta Normannorum, p.219; Roger de Hoveden, Annals,p.214; Henrici Knighton, Chronicon,p.124.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٩.

([110])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.35.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٩.

([111])William of Malmesbury, History Kings , p.518.

([112])William of Malmesbury, History Kings, pp.518-19; Henrici Knighton, Chronicon, p.124.

Cf. also, Brett Jones, White Ship Disaster, p.26; Richard Huscroft, Angevin Empire ,p.4; Sharon Bennett Connolly, Warenne Earls, p.49.

أسامة إبراهيم حسيب: إنجلترا، ص٧٨.

([113])William of Malmesbury, History Kings , p.517.

([114])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.40.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٣.

Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire,p.5.

([115]) Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.35.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٩.

- جيفري هو ابن جيلبرت Gilbert de l'Aigle ابن Engenulf ، دافع جيلبرت عن قلعة أكسميس Exmes، مما دفع دوق نورماندي إلى التنازل عنها في عام ١٠٩١م، وفي العام التالي قتل في إحدى المناوشات. انظر:

Ordericus Vitalis, ecclesiastical history,vol.4, pp.35, 278, 377-8.

([116])Simeon of Durham, History Kings, p.601; Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.35; Wace, Norman People, p.206; Roger de Hoveden, Annals, p.214.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٩.

Charlotte Mary Yonge, Cameos from English , p.149.

([117]) Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.36.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٩.

Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire ,p.5; Charlotte Mary Yonge, Cameos from English ,p.149.

([118])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.36.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٩-٣٠.

([119])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.36; Wace, Norman People, p.206.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٩-٣٠.

([120])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.36; Wace, Norman People, p.206.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٩-٣٠.

Cf. also, Charlotte Mary Yonge, Cameos from English , p.149.

([121])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history,vol.4, p.36.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٢٩.

([122])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history,vol.4, p.37.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٠.

Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire,p.5.

([123]) Eadmeri, historia novorum, p.288.

([124]) John of Worcester, Chronicle, p. 147.

([125]) Henry of Huntingdon,English People, pp.56, 101.

([126])Wace, Norman People, p. 206.

([127]) Warenne Chronicle, p.87.

([128])Henry of Huntingdon, English People,p.56.

إمام الشافعي محمد حمودي وأشرف صالح : الانحراف الجنسي في عصر الحروب الصليبية، ، دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠١٨، ص ٩٢.

([١٢٩]) روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، ص١٣٢.

Matthaei Parisiensis, Historia Anglorum, p.230.

([130])Guillaume de Nangis, Chronique, p.11.

([131])Henry of Huntingdon, English People ,p.56.

([132])Teresa Marie Lopez, Re-Writing English Identity: Medieval Historians of Anglo-Norman Britain, A Dissertation Presented for the Doctor of Philosophy Degree, The University of Tennessee, 2017, pp.127-28, 167.

([133])Henry of Huntingdon, English People,p.101.

([١٣٤]) أوضح المؤرخون المعاصرون أن عهد ويليام الثاني روفوس ساد فيه تجاوزات جنسية عديدة بين الملك وحاشيته، واستفاض إديميري وويليام مالمسبوري وفيتاليس في ذكر فساد أخلاق النبلاء اللذين تشبهوا بالنساء في زينة ملابسهم وإطالة شعرهم ورقة خطواتهم – وأشاروا بأصابع الاتهام إلى روفوس في ممارسته لرذيلة اللواط، ولعل ما قوى من اعتقادهم هذا هو عدم زواج روفوس، رغم بلوغه سن الأربعين وعدم محاولته إنجاب وريث للعرش من الأساس، وقد أشار إلى ذلك فيتاليس بقوله:" لم يتزوج وليام روفوس أبدًا، فقد تخلى عن نفسه للرذيلة والفجور، واضعًا لرعاياه مثالًا قاتلًا للفسق الفاضح"، كما أشار هانتينغدون نفسه عن ذلك بقوله:" كل ما كان لا يرضي الله والذين أحبوا الله كان يرضى الملك والذين أحبوه، كما أنهم لم يمارسوا الفجور الذي لا يوصف في الخفاء، ولكن بلا خجل في ضوء النهار". انظر:

Ordericus Vitalis, ecclesiastical history ,vol.2 ,p.477-80, vol.3,p.200; Henry of Huntingdon,English People,p.49.

Cf. also, Frank Barlow, William Rufus,3th, Yale University Press, New Haven, 2000, pp.102-10; Louis Crompton, Homosexuality and civilization ,the Belknap Press, Cambridge, 2003, pp.184-85; Jennifer D. Thibodeaux, The Manly Priest Clerical Celibacy, Masculinity, and Reform in England and Normandy, 1066–1300, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 2015, pp.28-30.

([135])Elisabeth van Houts," Normandy's View of the Angle-Saxon Past in the Twelfth Century", in The Long Twelfth-Century View of the Anglo-Saxon Past, ed.Martin Brett, David A. Woodman, 2nd, Routledge, London,2016, p.132.

([136])Victoria Chandler, "The Wreck of the White Ship, A Mass Murder Revealed ? ", in The final argument : the imprint of violence on society in medieval and early modern Europe, ed. Donald J. Kagay and L.J. Andrew Villalon, Woodbridge,1998, pp.179-84.

([١٣٧]) رانولف ابن عم ريتشارد إيرل تشيستر، كان مخلصًا لهنري الأول، وقد حارب رانولف إلى جانب هنري الأول في السنوات السابقة للكارثة البحرية، وكان رانولف بالفعل بارونًا أنجلو نورمانيًّا ثريًّا بالأراضي التي كان يمتلكها ثم ما أضاف إليها بإيرلية تشيستر، وقد أرسله هنري الأول إلى نورماندي عام ١١٢٣م ليدافع عنها ضد عدوان كونت أنجو، وبعد وفاته تولى ابنه خلفه. للمزيد انظر:

Warren Hollister, Henry I, pp.342-43.

([138])Victoria Chandler, Wreck White Ship,pp.179-84.

([١٣٩]) من ضمن المعلومات التي أوردها فيتاليس وجانبه فيه الصواب، ذكره لأحداث الكارثة البحرية تحت سنة ١١١٩م وليس ١١٢٠م، كذلك ما ذكره من أن القمر في تلك الليلة كان في يومه التاسع عشر من برج الثور، وأنارت أشعته سطح الماء لمدة تسع ساعات، بحيث كان كل شيء واضح جدًا للبحارة، وهذا مخالف لما ذكرته المصادر الأخرى من الظلام الدامس في تلك الليلة، وفي الوقت نفسه فليلة ٢٥ نوفمبر لم يكن القمر فيها في يومه ١٩ بل في ٢١ ، وليس في برج الثور ولكن في برج الأسد، كذلك ما ذكره حول أن البحث عن الجثث كان في عيد القديسة كاثرين الذي يوافق ٢٥ نوفمبر، أي في اليوم نفسه الذي غرقت فيها السفينة، والتي غرقت في المساء، ولم يعرف بها إلا في اليوم التالي.

Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, pp.32,n.1,36, n.1. 41.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص٤٢٩، ٤٣٤.

([140]) Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.41.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٤.

([141])Simeon of Durham, History Kings, p.602; Wace, Norman People, p. 206; Roger de Hoveden, Annals,p.214.

([142])Simeon of Durham, History Kings, p.602; Roger de Hoveden, Annals,p.214.

([١٤٣]) يبعد كلاريندون ما بين ٣٠-٣٣ كم داخل الأراضي الإنجليزية، بعيدًا عن ساحل القناة الإنجليزية.

([144])Wace, Norman People, p. 206.

([145]) Ordericus Vitalis, Ecclesiastical, p.37.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٠.

Warren Hollister, Henry I, p.278.

([146])Simeon of Durham, History Kings, p.602; Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.37; Roger de Hoveden, Annals,p.214.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٠.

Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire, p.5.

([147]) Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.37.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٠.

Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire, p.5; Charlotte Mary Yonge, Cameos from English ,p.149.

([148]) Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.37.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣١.

([149])Simeon of Durham, History Kings , p.602.

- انظر صورة مرسومة للسفينة البيضاء والملك هنري في مخطوطة تعود للقرن ١٤م في صورة رقم(١) في آخر البحث.
- انظر صورة مرسومة لغرق السفينة البيضاء وحالة الملك هنري الأول في مخطوطة حولية بيتر دي لا نجتوفت Peter de Langtoft (القرن ١٤م) في صورة رقم(٢) في آخر البحث.

([150]) Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.37.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣١.

([151])Hugh the Chanter, History of the Church of York, p.165.

([152])Wace, Norman People, p. 206.

انظر أيضًا: أسامة إبراهيم حسيب: إنجلترا، ص٧٨.

([153]) Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.37-8.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣١.

([154]) Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.41-2.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٤.

([155]) Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.41.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٤.

Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire, p.6.

([156]) Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.42.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٥.

Cf. also, Brett Jones, White Ship Disaster, p.26.

([157])William of Malmesbury, History Kings, p.519; Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.39; Henry of Huntingdon,English People, p.101; Henrici Knighton, Chronicon,p.124.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٢.

([158])Suger Abbot of Saint Deins, Deeds of Louis the Fat, p. 69.

([159])Simeon of Durham, History Kings, p.602; Hugh the Chanter, History of the Church of York, p.165.

([١٦٠]) كان ويليام تانكارفيل أحد مستشاري الملك هنري الأول الموثوقين فيهم، قاتل إلى جانب الملك في معركة بريمول ضد الفرنسيين عام ١١١٩م، وتوفي عام ١١٢٩م.انظر:

Warren Hollister, Henry I, pp. 257 , 363, n.2.

([161])Wace, Norman People, pp. 206-7.

([162]) Hugh the Chanter, History of the Church of York, p.165.

([163])William of Malmesbury, History Kings , p.519.

([164])William of Malmesbury, History Kings , p.519.

([165])Eadmeri, historia novorum, p.290; Simeon of Durham, History Kings, p.602; Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, vol.4, p.43; John of Worcester, Chronicle, p.149; Henry of Huntingdon,English People, p.56; Robert of Torigni, Gesta Normannorum,p.247-49; Robert de Monte(Torigni), Chronicles, p.33; The Anglo-Saxon Chronicl,p.291; Roger de Hoveden, Annals, p.214; Pierre de Langtoft, Chronicle, p.465; Chronique de l'Abbaye de S.-Pierre,p.12.

Cf. also, Warren Hollister, Henry I,pp.280-81.

- أديليزا هي ابنة جودفري كونت لوفانGeoffry duke of Louvain ، كانت أصغر من هنري الأول بثلاثين عامًا، وكان تدخلها في الشئون السياسية في عهد زوجها قليل، وبعد وفاته اعتكفت في أحد الأديرة حدادًا عليه، وفي عام ١١٣٩م تزوجت مرة أخرى، وأنجبت من هذه الزيجة سبعة أطفال، وفي أواخر أيامها اعتكفت في الدير حتى وفاتها عام ١١٥١م. انظر:

Henry of Huntingdon,English People,p.56.
Cf. also, Kenneth J. Panton, Historical Dictionary, p.17-8.
([166]) Eadmeri, historia novorum, p.290.
([167]) John of Worcester, The Chronicle, p.149
([168]) Eadmeri, historia novorum, p.290; John of Worcester, The Chronicle, p.149.
([169])Wace, Norman People,p.207.
([170])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, vol.4, p.43; Robert of Torigni, Gesta Normannorum,p.249.
([171])Richard Huscroft, Angevin Empire, p.30.
([172])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, vol.4, p.59.
([173])Wace, Norman People,p.207.
([174])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, vol.4, p.59; Wace, Norman People,p.207.
Cf. also, Charlotte Mary Yonge, Cameos from English , p.149.
([175])Wace, Norman People,p.207.
([176])Simeon of Durham, History Kings , p.607.
([177])The Anglo-Saxon Chronicle,p.294 .
([178])Simeon of Durham, History Kings, p.607; William of Malmesbury,History Kings , p.519; Anglo-Saxon Chronicle,p.296; Henrici Knighton, Chronicon, p.125.
Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire, p.30; Charlotte Mary Yonge, Cameos from English,p.149.
([179])Simeon of Durham,History Kings, p.607; The Anglo-Saxon Chronicle,p.296.
([180])The Anglo-Saxon Chronicle, p.299.
Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire, pp.30-1.
([181])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, pp.58-9 ;Henry of Huntingdon,English People , p.102.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٤٩.

([182]) Anglo-Saxon Chronicle,pp.299,302.
Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire, pp.33-4;Warren Hollister, Henry I, p.309.

انظر أيضًا: محمد فرحات: ماتيلدا، ص ٤٦-٨؛ أسامة إبراهيم حسيب: إنجلترا، ص٧٩ وما بعدها.

- كان جيوفري يصغر ماتيلدا بعدة سنوات، وتولى حكم أنجو عام ١١٢٩م حتى عام ١١٥١م، وفي أواخر عهد هنري الأول توترت العلاقات بينه وبين الملك؛ بسبب الخلاف حول ملكية بعض القلاع في نورماندي، ومساندة جيوفري لبعض المتمردين على حكم الملك هنري، كما دخل في الصراع القائم بين ستيفن وماتيلدا، للمزيد انظر:

محمد فرحات: ماتيلدا، ص٤٧-٩.

William W. Kibler and Others, Medieval France,p.79.

([183]) للمزيد عن الحرب بين ماتيلدا وستيفن، انظر:

محمد فرحات: ماتيلدا، ص٤٩-٦٣.

Richard Huscroft, Angevin Empire, pp.38- 47.
([184])Nicholas Vincent, "Henry II and The Historians", in Henry II: New Interpretations, ed. Christopher Harper-Bill ،Nicholas Vincent, the Boydell Press, Woodbridge, 2007, (pp.1-23), p.1.
([185]) Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.40.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٣.

([186]) Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.44.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٦.

Cf. also, Brett Jones, White Ship Disaster, p.26. Warren Hollister, Henry I, p.342.

([187]) Ordericus Vitalis, ecclesiastical history, p.38.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣١.

Cf. also, Richard Huscroft, Angevin Empire, p.5.

([188]) Abbé Bellot et Louis Drouet, Historique sur la ville de Barfleur,pp.281-83.

([189])Ordericus Vitalis, ecclesiastical history,vol.4, pp.38-9.

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ص ٤٣٢-٣٣.

([190])Henry of Huntingdon, English People,p.56.

ملحق جدول مختصر بكارثة غرق السفينة البيضاء

تاريخ الكارثة	خط سير السفينة المفترض	عدد الركاب		ركاب السفينة من الأسرة المالكة	موقع الغرق	سبب غرق السفينة	أهم نتائج غرق السفينة
٢٥ نوفمبر ١١٢٠م	من ميناء بارفلور في نورماندي إلى ميناء ساوثهامبتون في إنجلترا	أكثر من ٣٥٠ شخص		ويليام الأثلينج الابن الشرعي للملك هنري الأول ريتشارد ابن غير شرعي لهنري الأول ماتيلدا ابنة غير شرعية لهنري الأول مايتلدا ابنة أخت الملك هنري	كاتي رازCatte raz تعرف الآن باسم راز دي بارفلور	- ثمالة بحارة السفينة - سرعة السفينة - اصطدامها بصخرة بارفلور	- حدوث مشكلة على وراثة العرش الإنجليزي. - تجدد الخلاف بين هنري الأول وفولك كونت أنجو حول مقاطعة ماين. - فقدت الكثير من المقاطعات ورثتها الشرعيين. - حكمت أسر حاكمة جديدة لبعض المقاطعات التي فقدت ورثتها. - قل دور ميناء بارفلور كميناء ملكي في أواخر عهد الملك هنري الأول. - شكلت الكارثة جزءًا من الأدب الإنجليزي بكثرة القصائد الشعرية عنها.
		عدد الركاب من النساء	١٨				
		عدد النبلاء	١٠٠				
		عدد البحارة	٥٠				
		عدد القوة البحرية	١٥٠				
		عدد الخدم	٥٠				

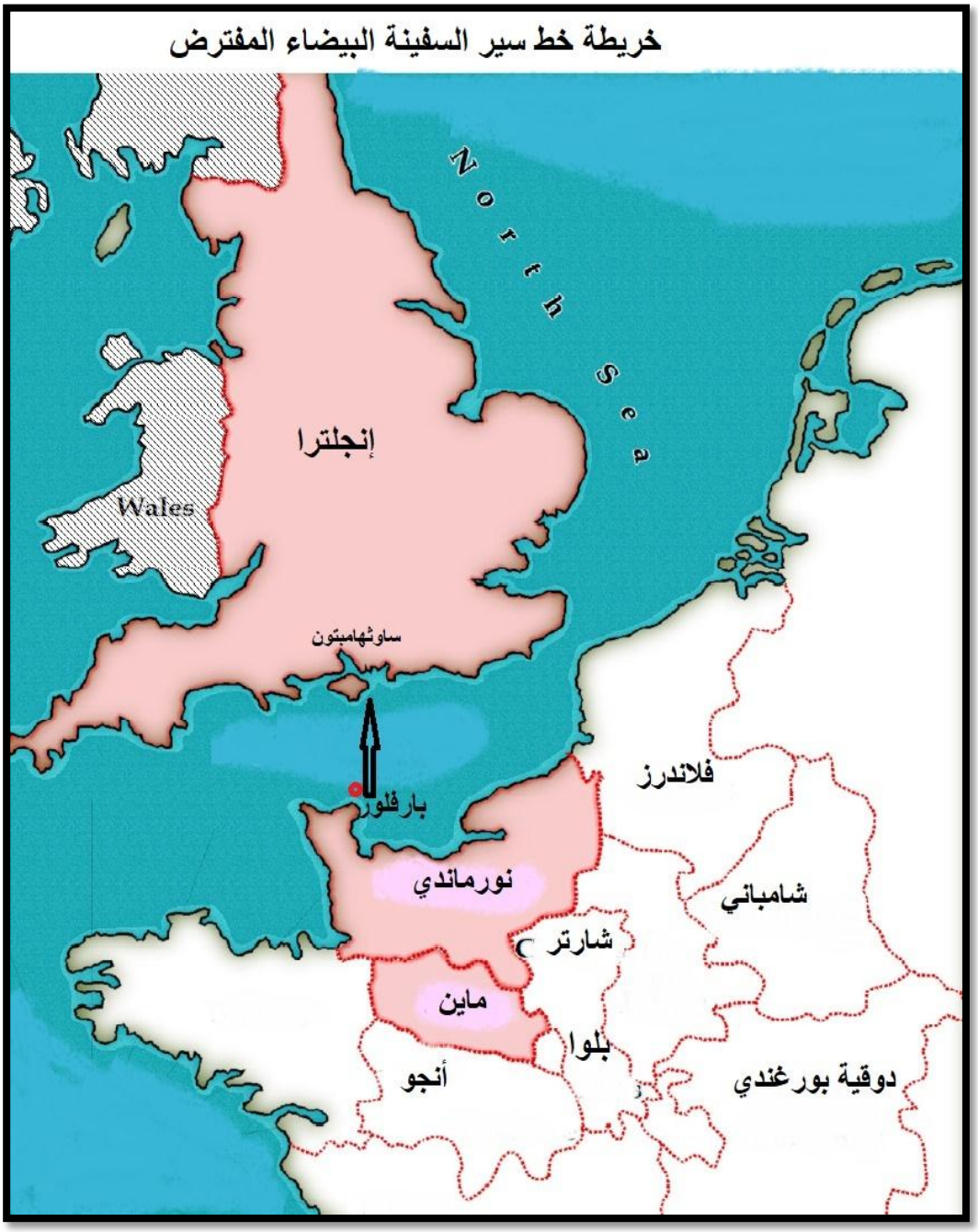
خريطة خط سير السفينة البيضاء المفترض
North sea
إنجلترا
Wales
ساوثهامبتون
بارفلور
فلاندرز
نورماندي
شامباني
شارتر
ماين
بلوا
أنجو
دوقية بورغندي

صورة رقم (١)

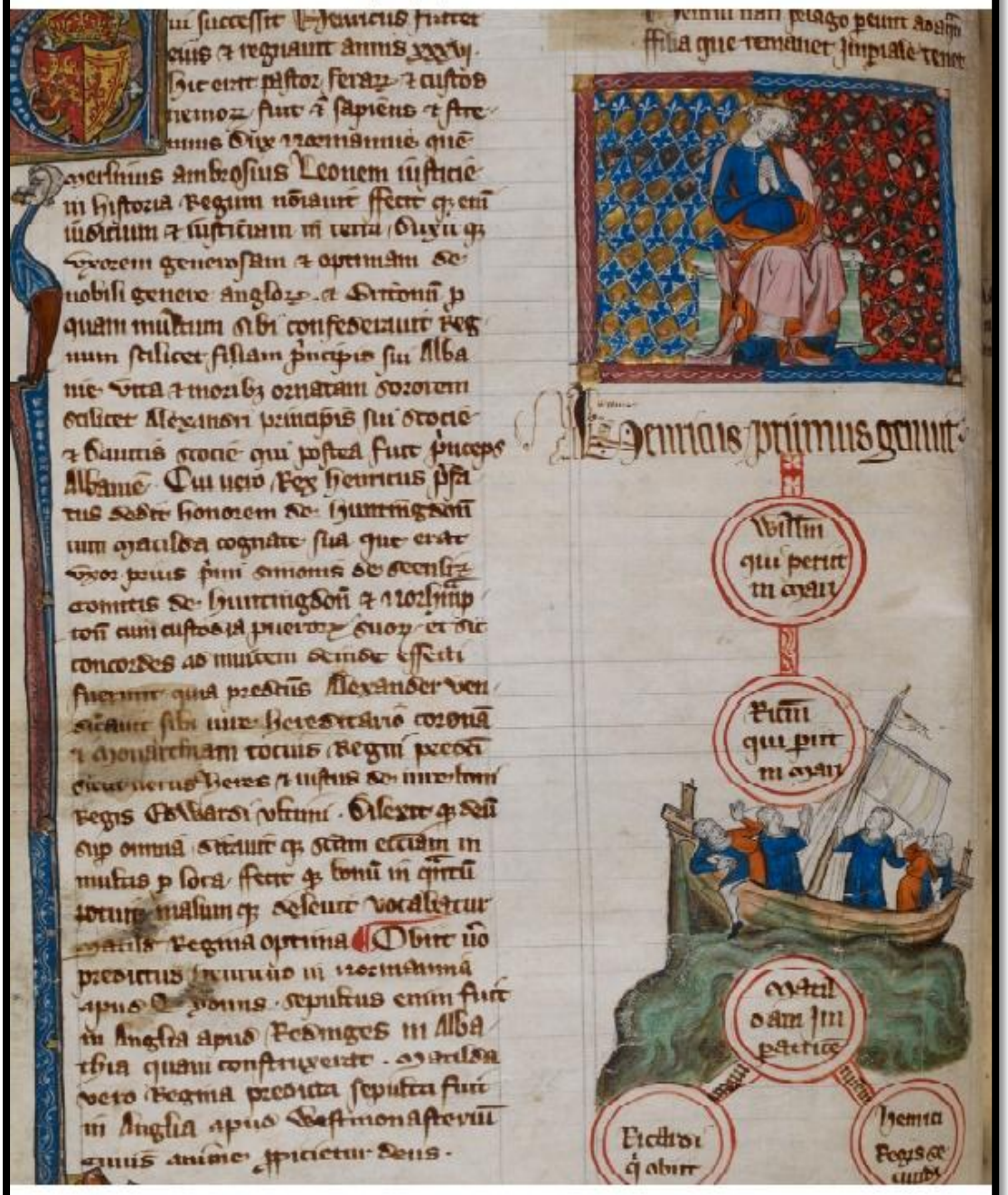

رسمة السفينة البيضاء وحالة هنري الأول في مخطوطة **Liber legum antiquorum regum** تعود للقرن الرابع عشر الميلادي

نقلًا عن : The Anglo-Saxon Chronicle Illustrated and Annotated, p.290.

صورة رقم(٢)

رسمة توضح غرق السفينة البيضاء وحالة هنري الأول في مخطوطة حولية بيتر دي لانجتوفت(القرن١٤م)

Richard Huscroft, Rise and Fall of the Angevin Empire,p.ix

قائمة المصادر والمراجع

أولًا : المصادر الاجنبية:

Annales Cambriae, ed. John Williams, London, 1860.

Chronique de l'Abbaye de S.-Pierre à Gand, ed. R.Vande Putte, Gandavi, 1842.

Eadmeri, Historia Novorum in Anglia: Et opuscula duo de vita Sancti Anselmi et quibusdam miraculis ejus, ed.Martin Rule, London, 1884.

Guillaume de Nangis , Chronique Latine de Guillaume de Nangis de 1113 a 1300 avec Les Continuations de cette Chronique de 1300 a 1368, 2vols., ed . Par H. Geraud, Paris, 1843.

Henrici Knighton, Chronicon Henrici Knighton vel Cnitthon, Monachi Leygestrensis, 2vols., ed. Joseph R. Lumby, London, 1889.

Henry of Huntingdon, The History of the English People 1000-1159, trans. Diana Greenway, Oxford University Press, Oxford, 2002.

Hugh the Chanter, The History of the Church of York 1066-1127, trans. Charle Johnson, Clarendon Press, Oxford,1990.

Jean Froissart, Les Chroniques de Jean Froissart, in Collection Des Chroniques Nationales Francaises, ed. J.A.Buchon, Paris, 1825.

John of Worcester, The Chronicle of John of Worcester, The Annals from 1067 to 1140, 3vols., ed.P. Mcgurk, Clarendon Press, Oxford, 1998.

Mathieu Paris, Grande Chronique de Matthieu Paris,9 vols., trans. A.Huillaed-Breholles, Paulin Libraire-Editeur, Paris, 1840.

Matthaei Parisiensis, Historia Anglorum Sive, Ut vulgo Historia Minor, ed. Frederic Madden, 3vols., London 1866.

Ordericus Vitalis, The Ecclesiastical History of England and Normandy, 4vols., trans. Thomas Forester, London, 1854, 1856.

Pierre de Langtoft, The Chronicle of Pierre de Langtoft, From The Earliest Period to the death of King Edward I, 2 vols., ed. Thomas Wright, , London, 1866.

Regesta Regum Anglo-Normannorum 1066-1154, ed. Charies Johnson and Others, The Clarendon Press, Oxford, 1956.

Robert de Monte(Torigni), The Chronicles of Robert de Monte, trans. Joseph Stevenson, Llanerch Publishers, 1856.

Robert of Torigni, The Gesta Normannorum Ducum of William of Jumieges, Orderic Vitalis, and Robert of Torigni, 2vols., Trans. Elisabeth Van Houts, Oxford University Press, Oxford, 1995.

Roger de Hoveden, The Annals of Roger de Hoveden, Comprising The History of England and of Other countries of Europe from A.D. 732 to 1201, 2 vols. ,trans. Henry T. Riley, London, 1853.

Simeon of Durham, History of The Kings of England, The Historical Works of Simeon of Durham, trans. Joseph Stevenson, 1855.

Suger Abbot of Saint Deins, The Deeds of Louis the Fat , trans. Richard Cusimano and John Moorhead, the Catholic University of America Press, America,1992.

The Anglo-Saxon Chronicle Illustrated and Annotated, ed.Bob Carruthers, 2nd,Pen and Sword Military, Barnsley, 2013.

The Chronicle of St. Evroult, in The Ecclesiastical History of England and Normandy, 4vols., trans. Thomas Forester, London, 1856, vol.4, (pp.229- 268).

The Warenne(Hyde) Chronicle, trans. Elisabeth M. C. van Houts and Rosalind C. Love, Oxford University Press, Oxford, 2013.

Wace, The History of The Norman People, Wace's Roman De Rou, trans. Glyn Burgess, The Boydell Press, Woodbridge, 2004.

William of Jumieges, Gesta Normannorum of William of Jumieges, Orderic Vitalis, and Robert of Torigni, 2vols., Trans. Elisabeth Van Houts, Oxford University Press, Oxford, 1995.

William of Malmesbury, The History of the Kings of England and the Modern History, trans. John Sharpe, London, 1815.

William of Poitiers, The Gesta Guillelmi of William of Poitiers, trans. R.H.Davist and Marjorie Chibnall, Clarendon Press, Oxford, 1998.

William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea, 2vols., trans. Emily Atwater Babcoc and A.Krey, Columbia University Press, New York, 1943.

ثانياً: المصادر المعربة:

أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ترجمة سهيل زكار، دمشق، ٢٠٠٨.

روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، في الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية،٤٠ج، ترجمة سهيل زكار، دمشق، ٢٠٠٠، ج٣٩.

وليم الصوري: الحروب الصليبية، ٣ج، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

Abbé Bellot et Louis Drouet, Note Historique sur la ville de Barfleur, in Mémoires de la Société Nationale académique de Cherbourg, Cherbourg, 1894-1895,(pp.273-332).

Brett Jones, 'The White Ship Disaster', in The Historian, vol.46 , 1999, (pp.23-6).

Catherine Hanley, Matilda Empress Queen Warrior, Yale University Press, New Haven , 2019.

Charlotte Mary Yonge, Cameos from English History from Rollo to Edward II, Salzwasser-Verlag Gmbh, Germany, 2020.

Eljas Oksanen, Flanders and the Anglo-Norman World, 1066–1216, Cambridge University Press, New York, 2012.

Elisabeth van Houts," Normandy's View of the Angle-Saxon Past in the Twelfth Century", in The Long Twelfth-Century View of the Anglo-Saxon Past, ed.Martin Brett, David A. Woodman, 2nd, Routledge, London,2016.

Frank Barlow, William Rufus,3th, Yale University Press, New Haven, 2000.

Jennifer D. Thibodeaux, The Manly Priest Clerical Celibacy, Masculinity, and Reform in England and Normandy, 1066–1300, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 2015.

K. S. B. Keats-Rohan, Domesday Descendants: A Prosopography of Persons Occurring in English Documents 1066-1166, The Boydell Press, Woodbridge, 2002.

Kathleen Hapgood Thompson ,The Counts of the Perche c. 1066-1217,Thesis the degree of Doctor, University of Sheffield, 1995.

Kenneth J. Panton, Historical Dictionary of the British Monarchy, Scarecrow Press, United Kingdom, 2011.

Louis Crompton, Homosexuality and Civilization ,the Belknap Press, Cambridge , 2003.

Nicholas Vincent, "Henry II and The Historians", in Henry II: New Interpretations, ed. Christopher Harper-Bill ،Nicholas Vincent, the Boydell Press,Woodbridge, 2007, (pp.1-23).

Paul E. Szarmach and Others, Medieval England : An Encyclopedia, Routledge,New York, 1998.

Paul Hill, The Norman Commanders: Masters of Warfare 911-1135, Pen and Sword Military, Great Britain, 2015.

Reid D., "Patrons of Poetry: Rouen's Confraternity of the Immaculate Conception of Our Lady ", in The Reach of the Republic of Letters Literary and Learned Societies in Late Medieval and Early Modern Europe, ed. A. Dixhoorn and S. Sutch, 2 vols., Brill, Leiden , 2008, vol. 1.

Richard Huscroft,

- Tales From the Long Twelfth Century: The Rise and Fall of the Angevin Empire, Yale University Press, New Haven, 2016.

- Ruling England 1042-1217, 2nd, Routeldge, New York, 2016.

Ruth Margaret Blakely, The Brus Family in England and Scotland, 1100-1295, The Boydell Press, Woodbridge, 2005.

Samantha Kahn Herrick, Imagining the Sacred Past: Hagiography and Power in Early Normandy, Harvard University Press, Cambridge, 2007.

Sharon Bennett Connolly, Rise and Fall of the Warenne Earls of Surrey, Pen and Sword History, Great Britain, 2021.

Susan Rose, England's Medieval Navy 1066-1509: Ships, Men & Warfare, Seaforth Publishing, Barnsley, 2013.

Teresa Marie Lopez, Re-Writing English Identity: Medieval Historians of Anglo-Norman Britain, A Dissertation Presented for the Doctor of Philosophy Degree, The University of Tennessee, 2017.

Victoria Chandler, "The Wreck of the White Ship A Mass Murder Revealed ? ", in The final argument : The imprint of violence on society in medieval and early modern Europe, ed. Donald J. Kagay and L.J. Andrew Villalon, Woodbridge,1998.

Warren Hollister, Henry I, Yale University Press, London, 2001.

William M. Aird, Robert `Curthose', Duke of Normandy 1050-1134, The Boydell Press, Woodbridge, 2008.

William W. Kibler and Others, Medieval France: An Encyclopedia, Garland Publishing Inc., New York, 1995.

رابعاً: المراجع العربية والمعربة:

أسامة إبراهيم حسيب: إنجلترا تحت حكم النورمان (١٠٦٦-١١٥٤م)،ط١، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ٢٠٠٨.

إمام الشافعي محمد حمودي وأشرف صالح : الانحراف الجنسي في عصر الحروب الصليبية، دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠١٨.

ف. ديستنفلد: جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمة عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

محمد فرحات: "الإمبراطورة ماتيلدا ودورها السياسي في الغرب الأوربي في القرن الثاني عشر الميلادي(١١١٠-١١٦٧م)، في تاريخ إنجلترا العصور الوسطى، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١٣،(ص٣٩-٦٤).